

سِيرُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

سير مختصرة من كتاب «سير أعلام النبلاء»

للإمام الذهبي

أعدّها : محمد بن سليمان المهنا





﴿ مقدمة ﴾

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا
محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإنَّ سِيرَ الأئمّةِ الأربعة (أبي حنيفة ومالك والشافعي
واحمد رحمهم الله) من أعظم السِّيرِ وأجلّها، وأنفعها
وأمتعها، وأولاها بالنشر والإشهار.

وقد ساقها الإمام الذهبي في كتابه الفذ العظيم «سِيرِ أعلامِ
النُّبلاء» سياقاً جميلاً حسناً، لكنّه سياق لا يخلو من طول
وتفصيل، فاستعنتُ اللهُ تبارك تعالي، واختصرْتُها اختصاراً
بالغاً، مع المحافظة على أكثر ما اشتملت عليه من المقاصد
والفوائد، حتى صارت خُلاصة طيِّبة سائغة للقارئ.

أدعو إخواني وأخواتي إلى قراءتها قراءة فردية وجماعية،
وأسألهم أن ينشروها بكل وسيلة، وأن يذكروا مُعدّها
بدعوات صالحات.



﴿ الإمام أبو حنيفة ﴾

فَقِيهُ الْمِلَّةِ، عَالِمُ الْعِرَاقِ، الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ
ثَابِتِ التَّيْمِيِّ، الْكُوفِيُّ، مَوْلَى بَنِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. يُقَالُ: إِنَّهُ
مِنْ أَبْنَاءِ الْفُرْسِ.

وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ، فِي حَيَاةِ صِغَارِ الصَّحَابَةِ، وَلَمْ يَثْبُتْ لَهُ
حَرْفٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَرَأَى أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -
لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْكُوفَةَ.

رَوَى عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَهُوَ أَكْبَرُ شَيْخٍ لَهُ وَأَفْضَلُهُمْ
- عَلَى مَا قَالَ - وَعَنْ حَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ - وَبِهِ تَفَقَّهَ - وَعَنْ
الشَّعْبِيِّ، وَنَافِعِ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، وَقَتَادَةَ، وَعَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ^(١)،
وَمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَهَشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَخَلْقٍ سِوَاهُمْ، حَتَّى

(١) وهو عاصم بن أبي النجود، صاحب القراءة المعروفة.



إِنَّهُ رَوَى عَنْ شَيْبَانَ النَّحْوِيِّ وَهُوَ أَصْغَرُ مِنْهُ، وَعَنْ: مَالِكِ بْنِ
أَنْسٍ وَهُوَ كَذَلِكَ أَصْغَرُ مِنْهُ!

وَعُنِيَ بِطَلَبِ الْآثَارِ، وَارْتَحَلَ فِي ذَلِكَ، وَأَمَّا الْفِقْهُ
وَالْتَدْقِيقُ فِي الرَّأْيِ وَغَوَامِضِهِ، فَإِلَيْهِ الْمُتَهَيُّ، وَالنَّاسُ عِيَالٌ
عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ.

حَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ذَكَرَ مِنْهُمْ شَيْخُنَا أَبُو الْحَبَّاجِ
الْمِزِّي فِي (تَهْذِيبِهِ) هُوَ لَأَنَّ:

إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ -عَالِمُ خُرَاسَانَ- وَحَمَزَةُ الزِّيَّاتُ
-وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِهِ- وَأَبُو عَاصِمِ النَّبِيلِ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَعَلِيُّ
بْنِ مُسَهَّرِ الْقَاضِي، وَهَشِيمٌ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَالْقَاضِي أَبُو
يُوسُفَ، وَابْنُهُ: حَمَّادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ^(١).

(١) ذكر الذهبي -رحمه الله- عدداً كبيراً من العلماء الذين أخذوا عن أبي حنيفة،
اكتفيتُ بذكر بعضهم رغبة في الاختصار.



قال إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ: وُلِدَ جَدِّي (أبو حنيفة النعمان بن ثابت) فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ، وَذَهَبَ أَبُوهُ ثَابِتٌ إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَاتِ فِيهِ وَفِي ذُرِّيَّتِهِ، وَنَحْنُ نَرْجُو مِنَ اللهِ أَنْ يَكُونَ اسْتَجَابَ ذَلِكَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِينَا.

قال النضر بن محمد: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ جَمِيلَ الْوَجْهِ، سَرِيَّ الثَّوْبِ، عَطَرَ الرَّيْحَ.

وقال أبو يوسف: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رُبْعَةً (١)، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صُورَةً، وَأَبْلَغِهِمْ نُطْقًا، وَأَعَذِبِهِمْ نِعْمَةً، وَأَبْيَنِهِمْ عَمَّا فِي نَفْسِهِ.

وقال حماد بن أبي حنيفة: كَانَ أَبِي جَمِيلًا، تَعْلُوهُ سُمْرَةٌ، حَسَنَ الْهَيْئَةِ، كَثِيرَ التَّعَطُّرِ، لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا جَوَابًا، وَلَا يَخْوُضُ رَحْمَةَ اللهِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ.

(١) رُبْعَةٌ: أَي مَتَوَسِّطُ الْقَامَةِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ جَدًّا وَلَا بِالْقَصِيرِ.



وقال ابن المبارك: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَوْقَرَ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا أَحْسَنَ سَمْتًا وَحِلْمًا مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ.

وقال قيسُ بنُ الربيع: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ وَرِعًا، تَقِيًّا، مُفْضِلًا عَلَى إِخْوَانِهِ.

وقال شريك: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، كَثِيرَ الْعَقْلِ.

وقال يزيدُ بنُ هارونَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْلَمَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ.

وقال العجليُّ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ خَزَايَا يَبِيعُ الْخَزَّ (١).

قال العجلي: قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: قَدِمْتُ الْبَصْرَةَ، فَظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَجِبْتُ فِيهِ، فَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي فِيهَا جَوَابٌ، فَجَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَّا أُفَارِقَ حَمَادَ بْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ حَتَّى يَمُوتَ، فَصَحِبْتُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً.

وقال أحمدُ بنُ الصَّبَّاحِ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ قَالَ: قِيلَ لِمَالِكٍ: هَلْ رَأَيْتَ أَبَا حَنِيفَةَ؟

(١) الخز: قماش ناعم يشبه الحرير.



قَالَ: نَعَمْ، رَأَيْتُ رَجُلًا لَوْ كَلَّمَكَ فِي هَذِهِ السَّارِيَةِ أَنْ
يَجْعَلَهَا ذَهَبًا، لَقَامَ بِحُجَّتِهِ (١).

وقال القاضي أبو يوسف: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ أَبِي حَنِيفَةَ،
إِذْ سَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ لِأَخْرَ: هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ.
فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: وَاللَّهِ لَا يَتَحَدَّثُ عَنِّي بِمَا لَمْ أَفْعَلْ، فَكَانَ
يُحْيِي اللَّيْلَ صَلَاةً، وَتَضَرُّعًا، وَدُعَاءً.

وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يُسَمِّي الْوَتِدَ؛
لِكَثْرَةِ صَلَاتِهِ.

قَالَ مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ: رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ.
وقال القاسم بن معن: قام أبو حنيفة ليلة يردد قوله
تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ﴾ ﴿٤٦﴾ [سورة
القمر: آية ٤٦] وَيَبْكِي، وَيَتَضَرَّعُ إِلَى الْفَجْرِ.

(١) أي أنه كان ذا بيان مُشرق وُحجة قوية.



قال زيد بن كميته: سَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ لِأَبِي حَنِيفَةَ: اتَّقِ اللَّهَ. فَانْتَفَضَ، وَاصْفَرَ، وَأَطْرَقَ، وَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، مَا أَحْوَجَ النَّاسَ كُلَّ وَقْتٍ إِلَى مَنْ يَقُولُ لَهُمْ مِثْلَ هَذَا.

قال بشر بن الوليد: طَلَبَ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورُ أَبَا حَنِيفَةَ، فَأَرَادَهُ عَلَى الْقَضَاءِ، وَحَلَفَ عَلَيْهِ لِيَلِينَنَّ الْقَضَاءَ، فَأَبَى، وَحَلَفَ: إِنِّي لَا أَفْعَلُ. فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ الْحَاجِبُ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ تَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْلِفُ وَأَنْتَ تَحْلِفُ؟ قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كَفَّارَةٍ يَمِينُهُ أَقْدَرُ مِنِّي. فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ، فَمَاتَ فِيهِ بِبَغْدَادَ.

وقال مغيث بن بديل: دَعَا الْمَنْصُورُ أَبَا حَنِيفَةَ إِلَى الْقَضَاءِ، فَاْمْتَنَعَ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ: أَتَرْغِبُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ؟ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنِّي لَا أَصْلِحُ. قَالَ: كَذَبْتَ. فَقَالَ: فَقَدْ حَكَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ أَنِّي لَا أَصْلِحُ، فَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا، فَلَا أَصْلِحُ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا، فَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنِّي لَا أَصْلِحُ. فَحَبَسَهُ.



وَقَالَ الْفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصِّيمَرِيُّ: لَمْ يَقْبَلِ أَبُو حَنِيفَةَ
الْعَهْدَ بِالْقَضَاءِ، فَضْرِبَ، وَحُبِسَ، وَمَاتَ فِي السِّجْنِ.
قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: أَبُو حَنِيفَةَ أَفْقَهُ النَّاسِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْقَطَّانِ: لَا نَكْذِبُ اللَّهَ، مَا سَمِعْنَا
أَحْسَنَ مِنْ رَأْيِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَخَذْنَا بِأَكْثَرِ أَقْوَالِهِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ: لَوْ وُزِنَ عِلْمُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ بِعِلْمِ
أَهْلِ زَمَانِهِ، لَرَجَحَ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ: كَلَامُ أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْفِقْهِ، أَدَقُّ
مِنَ الشَّعْرِ، لَا يَعْيبُهُ إِلَّا جَاهِلٌ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: النَّاسُ فِي الْفِقْهِ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ.

قُلْتُ: الْإِمَامَةُ فِي الْفِقْهِ وَدَقَائِقُهُ مُسَلَّمَةٌ إِلَى هَذَا الْإِمَامِ،
وَهَذَا أَمْرٌ لَا شَكَّ فِيهِ.



وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ
إِذَا احْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

وَسِيرَتُهُ تَحْتَمِلُ أَنْ تُفْرَدَ فِي مُجَلَّدَيْنِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ.
تُوفِّي: شَهِيداً، مَسْقِيّاً^(١) فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَلَهُ
سَبْعُونَ سَنَةً.

وَابْنُهُ الْفَقِيهُ حَمَّادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ، كَانَ ذَا عِلْمٍ، وَدِينٍ،
وَصَلَاحٍ، وَوَرَعَ تَامًّا.
تُوفِّي حَمَّادٌ سَنَةً سِتًّا وَسَبْعِينَ وَمِائَةً.



(١) أي أنه سُقِيَ السَّمَّ لِيَمُوتَ، رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ.



﴿ الإمام مالك ﴾

هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، حُجَّةُ الْأُمَّةِ، إِمَامُ دَارِ الْهَجْرَةِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْأَصْبَحِيُّ، الْمَدَنِيُّ، وَأُمُّهُ هِيَ عَالِيَةُ بِنْتُ شَرِيكِ الْأَزْدِيَّةِ.

مَوْلِدُ مَالِكٍ عَلَى الْأَصَحِّ: فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ، عَامَ مَوْتِ أَنَسٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَشَأَ فِي صَوْنٍ وَرَفَاهِيَةٍ وَتَجَمَّلَ.

وَطَلَبَ الْعِلْمَ وَهُوَ حَدَّثَ (ابْنُ بَضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً) فَأَخَذَ عَنْ: نَافِعٍ، وَابْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَالزُّهْرِيِّ، وَهَشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَخَلْقٍ. وَتَأَهَّلَ لِلْفُتْيَا، وَجَلَسَ لِلْإِفَادَةِ، وَلَهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ وَهُوَ شَابٌّ طَرِيٌّ، وَقَصَدَهُ طَلَبَةُ الْعِلْمِ مِنَ الْأَفَاقِ فِي آخِرِ دَوْلَةِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ فِي خِلَافَةِ الرَّشِيدِ، وَإِلَى أَنْ مَاتَ.



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لِيَضْرِبَنَّ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ) ^(١).

وَيُرَوَّى عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَقُولُ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، حَتَّى قُلْتُ: كَانَ فِي زَمَانِهِ سُلَيْمَانُ بْنُ يُسَارٍ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَغَيْرُهُمَا. ثُمَّ أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ أَقُولُ: إِنَّهُ مَالِكٌ، لَمْ يَبْقَ لَهُ نَظِيرٌ بِالْمَدِينَةِ.

وَذَكَرَ أَبُو الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ أَنَّ مَعْنَاهُ: مَا دَامَ الْمُسْلِمُونَ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ لَا يَجِدُونَ أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ.

فَيَكُونُ عَلَى هَذَا: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، ثُمَّ بَعْدَهُ مَنْ هُوَ مِنْ شُيُوخِ مَالِكٍ، ثُمَّ مَالِكٍ، ثُمَّ مَنْ قَامَ بَعْدَهُ بِعِلْمِهِ.

(١) أخرجه أحمد (٢ / ٢٩٩) والترمذي (٢٦٨٢) وابن حبان (٢٣٠٨) ورجاله ثقات، إلا أن ابن جريج وأبا الزبير مدلسان، وقد عنعننا، وأعله الامام أحمد بالوقف، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان.



قُلْتُ: كَانَ عَالِمَ الْمَدِينَةِ فِي زَمَانِهِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَصَاحِبِيهِ: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَعَائِشَةُ، ثُمَّ ابْنُ عُمَرَ، ثُمَّ سَعِيدُ بْنُ
الْمُسَيَّبِ، ثُمَّ الزُّهْرِيُّ، ثُمَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، ثُمَّ مَالِكٌ.

قال ابن عيينة: مَالِكٌ عَالِمُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَهُوَ حُجَّةُ زَمَانِهِ.

وقال الشافعي - وصدق وبر -: إِذَا ذُكِرَ الْعُلَمَاءُ فَمَالِكُ النُّجْمِ.

قال الزبير بن بكار في حديث: (لَيَضْرِبَنَّ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ ...).

**كان سفيان بن عيينة إذا حدث بهذا في حياة مالك،
يقول: أراه مالكا.**

**فأقام على ذلك زمانا ثم رجع بعد، فقال: أراه عبد الله
بن عبد العزيز العمري الزاهد.**

**قال ابن عبد البر، وغير واحد: ليس العمري ممن يلحق
في العلم والفقه بمالك، وإن كان شريفا سيّدا، عابداً.**



قُلْتُ: قَدْ كَانَ لِهَذَا الْعُمَرِيِّ عِلْمٌ وَفَقَهُ جَيِّدٌ وَفَضْلٌ، وَكَانَ قَوَّالًا بِالْحَقِّ، أَمَّارًا بِالْعُرْفِ، مُنْعَزِلًا عَنِ النَّاسِ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَالِكًا إِذَا خَلَا بِهِ عَلَى الزُّهْدِ، وَالْإِنْقِطَاعِ وَالْعُزْلَةِ، فَرَحِمَهُمَا اللهُ.

وذكر الحافظ ابن عبد البر في (التمهيد): أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ الْعُمَرِيَّ الْعَابِدَ كَتَبَ إِلَى مَالِكٍ يَحُضُّهُ عَلَى الْإِنْفِرَادِ وَالْعَمَلِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَالِكٌ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الْأَعْمَالَ كَمَا قَسَمَ الْأَرْزَاقَ، فَرُبَّ رَجُلٍ فَتِحَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ، وَآخَرَ فُتِحَ لَهُ فِي الصَّدَقَةِ، وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ، وَآخَرَ فُتِحَ لَهُ فِي الْجِهَادِ.

فَنَشَرُ الْعِلْمَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَقَدْ رَضِيتُ بِمَا فُتِحَ لِي فِيهِ، وَمَا أَظُنُّ مَا أَنَا فِيهِ بِدُونِ مَا أَنْتَ فِيهِ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ كِلَانَا عَلَى خَيْرٍ وَبِرٍّ.





فَصْلٌ

وَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ عَالِمٌ مِنْ بَعْدِ التَّابِعِينَ يُشَبِّهُ مَالِكًا فِي الْعِلْمِ، وَالْفِقْهِ، وَالْجَلَالَةِ، وَالْحَفِظِ، فَقَدْ كَانَ بِهَا بَعْدَ الصَّحَابَةِ مِثْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَالْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ، وَالْقَاسِمِ، وَسَالِمِ، وَعِكْرَمَةَ، وَنَافِعٍ، وَطَبَقْتِهِمْ، ثُمَّ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَابْنِ شِهَابٍ، وَأَبِي الزِّنَادِ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَصَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، وَرَبِيعَةَ بْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَطَبَقْتِهِمْ، فَلَمَّا تَفَانُوا، اشْتَهَرَ ذِكْرُ مَالِكٍ بِهَا، وَابْنِ أَبِي ذَنْبٍ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَاجْشُونِ، وَالِدِ الرَّوْرَدِيِّ، وَأَقْرَانِهِمْ، فَكَانَ مَالِكٌ هُوَ الْمُقَدَّمُ فِيهِمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالَّذِي تُضْرَبُ إِلَيْهِ أَبَاطُ الْإِبِلِ مِنَ الْأَفَاقِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قال الرُّعَيْنِيُّ: قَدِمَ الْمَهْدِيُّ الْمَدِينَةَ، فَبَعَثَ إِلَى مَالِكٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لِابْنِهِ هَارُونَ وَمُوسَى: اسْمَعَا مِنْهُ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَلَمْ يُجِبْهُمَا، فَأَعْلَمَا الْمَهْدِيَّ، فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!



الْعِلْمُ يُؤْتَى أَهْلَهُ. فَقَالَ: صَدَقَ مَالِكٌ، صِيرَا إِلَيْهِ.

فَلَمَّا صَارَا إِلَيْهِ، قَالَ لَهُ مُؤَدَّبُهُمَا: اقْرَأْ عَلَيْنَا. فَقَالَ مَالِكُ:
إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَقْرَءُونَ عَلَى الْعَالِمِ، كَمَا يَقْرَأُ الصَّبِيَانُ عَلَى
الْمُعَلِّمِ، فَإِذَا أَخْطَوْا، أَفْتَاهُمْ.

فَرَجَعُوا إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَبَعَثَ إِلَى مَالِكٍ، فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ:
سَمِعْتُ ابْنَ شِهَابٍ يَقُولُ: جَمَعْنَا هَذَا الْعِلْمَ فِي الرَّوْضَةِ
مِنْ رِجَالٍ، وَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ،
وَأَبُو سَلَمَةَ، وَعُرْوَةُ، وَالْقَاسِمُ، وَسَالِمٌ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ،
وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ، وَنَافِعٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هُرْمُزٍ، وَمِنْ
بَعْدِهِمْ: أَبُو الزِّنَادِ، وَرَبِيعَةُ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَابْنُ شِهَابٍ،
كُلُّ هَؤُلَاءِ يُقْرَأُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَقْرَءُونَ.

**فَقَالَ الْمَهْدِيُّ: فِي هَؤُلَاءِ قُدْوَةٌ، صِيرُوا إِلَيْهِ، فَاقْرَءُوا
عَلَيْهِ، فَفَعَلُوا.**



قال قتيبة: كُنَّا إِذَا دَخَلْنَا عَلَى مَالِكٍ، خَرَجَ إِلَيْنَا مُزِينًا، مُكْحَلًا، مُطَيَّبًا، قَدْ لَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، وَتَصَدَّرَ الْحَلَقَةَ، وَدَعَا بِالْمَرَاوِحِ، فَأَعْطَى لِكُلِّ مِنَّا مَرَّوْحَةً.

قال محمد بن عمر: كَانَ مَالِكٌ يَأْتِي الْمَسْجِدَ، فَيَشْهَدُ الصَّلَوَاتِ، وَالْجُمُعَةَ، وَالْجَنَائِزَ، وَيَعُودُ الْمَرَضَى، وَيَجْلِسُ فِي الْمَسْجِدِ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ تَرَكَ الْجُلُوسَ، فَكَانَ يُصَلِّي وَيَنْصَرِفُ، وَتَرَكَ شُهُودَ الْجَنَائِزِ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَالْجُمُعَةَ، وَاحْتَمَلَ النَّاسُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَكَانُوا أَرْغَبَ مَا كَانُوا فِيهِ، وَرُبَّمَا كَلَّمَ فِي ذَلِكَ، فَيَقُولُ: لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِعُذْرِهِ (١).

قال: وَكَانَ مَجْلِسُهُ مَجْلِسَ وَقَارٍ وَحِلْمٍ، فَقَدْ كَانَ رَجُلًا مَهِيْبًا، نَبِيْلًا، لَيْسَ فِي مَجْلِسِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمِرَاءِ وَاللَّغَطِ، وَلَا رَفْعُ صَوْتٍ.

(١) أُصِيبَ رَحِمَهُ اللهُ بِمَرَضٍ مَنَعَهُ مِنْ شُهُودِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ.



قال إسماعيل بن أبي أويس: سألتُ خالي مالكاً عن
مسألة، فقال لي: قرّ، ثمّ توضّأ، ثمّ جلس على السرير، ثمّ
قال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.
وكان لا يُفتي حتّى يقولها.

قال أبو مُصعب: كان مالك لا يحدث إلاّ وهو على
طهارة؛ إجلالاً للحديث.





صِفَةُ الْإِمَامِ مَالِكٍ

قال عيسى بن عمر: مَا رَأَيْتُ قَطُّ بَيَاضًا، وَلَا حُمْرَةً
أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِ مَالِكٍ، وَلَا أَشَدَّ بَيَاضِ ثَوْبٍ مِنْ مَالِكٍ.
وَنَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ: أَنَّهُ كَانَ طُوَالًا، جَسِيمًا، عَظِيمَ الْهَامَةِ،
أَشَقَرَ، أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ، عَظِيمَ اللَّحْيَةِ.
وَقِيلَ: كَانَ أَزْرَقَ الْعَيْنِ.

وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ: مَا رَأَيْتُ مُحَدِّثًا أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْ مَالِكٍ.
وَقَالَ أَبُو مُضْعَبٍ: كَانَ مَالِكٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا،
وَأَجْلَاهُمْ عَيْنًا، وَأَنْقَاهُمْ بَيَاضًا، وَأَتَمَّهُمْ طُوَالًا، فِي جَوْدَةِ بَدَنِ.
وَقَدْ سَأَقَ الْقَاضِي عِيَاضٌ مِنْ وَجْوه: حُسْنَ بَرَّةِ الْإِمَامِ
وَوُفُورَ تَجَمُّلِهِ.

وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ إِمَامًا فِي نَقْدِ الرِّجَالِ، حَافِظًا، مُجَوِّدًا، مُتَقِنًا.



قال عتيق بن يعقوب، سمعت مالكا يقول: حدثنا ابن شهاب ببضعة وأربعين حديثا، ثم قال: أعدّها عليّ، فأعدت عليه منها أربعين حديثا.

قال الشافعي: قال محمد بن الحسن: أقيمت عند مالك ثلاث سنين وكسرا، وسمعت من لفظه أكثر من سبع مائة حديث، فكان محمد إذا حدث عن مالك امتلا منزله، وإذا حدث عن غيره من الكوفيين، لم يجئه إلا اليسير.

وقال ابن أبي عمير العدني: سمعت الشافعي يقول: مالك معلّمي، وعنه أخذت العلم.

قال ابن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة: الثوري، ومالك، والأوزاعي، وحماد بن زيد. وقال: ما رأيت أحدا أعقل من مالك.



وَعَنْ مَالِكٍ، قَالَ: جُنَّةُ الْعَالِمِ: (لَا أَدْرِي)، فَإِذَا أَغْفَلَهَا
أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ.

قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ: سَمِعْتُ مَالِكًا سُئِلَ عَنْ ثَمَانٍ
وَأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً، فَأَجَابَ فِي اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ مِنْهَا بِ: لَا أَدْرِي.

قَالَ مَالِكٌ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ هُرْمُزٍ يَقُولُ:
يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُورِّثَ جُلَسَاءَهُ قَوْلَ: (لَا أَدْرِي) حَتَّى يَكُونَ
ذَلِكَ أَضْلًا يَفْرَعُونَ إِلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: صَحَّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ: (لَا أَدْرِي)
نِصْفُ الْعِلْمِ.





المحنة

قال محمد بن جرير: كان مالك قد ضرب بالسياط، واختلف في سبب ذلك، فحدثني العباس بن الوليد، حدثنا ابن ذكوان، عن مروان الطاطري: أن أبا جعفر المنصور نهى مالكاً عن الحديث: (ليس على مستكره طلاق)، ثم دس إليه من يسأله، فحدثه به على رؤوس الناس، فضربه بالسياط.

وسئل أحمد بن حنبل: من ضرب مالكاً؟ قال: بعض الولاة في طلاق المكره، كان لا يجيزه، فضربه لذلك.

قال الواقدي: لما دعي مالك، وشوور، وسمع منه، وقيل قوله، حسد، وبغوه بكل شيء، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة، سعوا به إليه، وكثروا عليه عنده، وقالوا: هو لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت



بن الأحنف في طلاق المكره: أنه لا يجوز عنده.

قال: فغضب جعفر، فدعا بمالك، فاحتج عليه بما رفع إليه عنه، فأمر بتجريدته، وضربه بالسياط، وجذت يده حتى انخلت من كتفه، وارثكب منه أمر عظيم، فوالله ما زال مالك بعد في رفعة وعلو.

قلت: هذا ثمرة المحنة المحمودة، أنها ترفع العبد عند المؤمنين، فالمؤمن إذا امتحن صبراً وتعظاً واستغفر، ولم يتشاغل بدم من انتقم منه، فالله حكيم مقسط، ثم يحمده الله على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له.

قال أبو الوليد الباجي: روي أن المنصور حج، وأقاد مالكاً من جعفر بن سليمان^(١) الذي كان ضربه. فأبى مالك، وقال: معاذ الله.

(١) أقاده منه، أي سلمه إليه ليقص منه، لكن الإمام مالك أبى أن يقتص منه.



فَصْلٌ

وَلِمَالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ رِسَالَةً فِي الْقَدْرِ، كَتَبَهَا إِلَى ابْنِ وَهْبٍ،
وَإِسْنَادُهَا صَحِيحٌ.

وَلَهُ مُؤَلَّفٌ: فِي النُّجُومِ وَمَنَازِلِ الْقَمَرِ، رَوَاهُ سُخُنُونٌ،
عَنْ ابْنِ نَافِعِ الصَّائِعِ، عَنْهُ، وَلَهُ جُزْءٌ فِي التَّفْسِيرِ، وَرِسَالَةٌ فِي
الْأَقْضِيَةِ مُجَلَّدٌ، وَلَهُ كِتَابُ (السَّرِّ) مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ الْقَاسِمِ عَنْهُ.
فَأَمَّا مَا نَقَلَ عَنْهُ كِبَارُ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ، وَالْفَتَاوَى،
وَالْفَوَائِدِ، فَشَيْءٌ كَثِيرٌ.

وَمِنْ كُنُوزِ ذَلِكَ: (الْمُدَوَّنَةُ)، وَ(الْوَاضِحَةُ)، وَأَشْيَاءٌ.

وَبِكُلِّ حَالٍ: فَإِلَى فَقْهِ مَالِكٍ الْمُنتَهَى، فِعَامَةٌ آرَائِهِ مُسَدَّدَةٌ،
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا حَسْمُ مَادَةِ الْحَيْلِ، وَمُرَاعَاةُ الْمَقَاصِدِ،
لَكَفَاهُ، وَمَذْهَبُهُ قَدْ مَلَأَ الْمَغْرِبَ وَالْأَنْدَلُسَ، وَكَثِيرًا مِنْ



بِلَادِ مِصْرَ، وَبَعْضِ الشَّامِ، وَالْيَمَنِ، وَالسُّودَانَ، وَبِالْبَصْرَةِ،
وَبَغْدَادَ، وَالْكُوفَةَ، وَبَعْضَ خُرَّاسَانَ.

وَلَكِنَّ هَذَا الْإِمَامَ (الْإِمَامَ مَالِكَ) الَّذِي هُوَ النَّجْمُ
الْهَادِي قَدْ أَنْصَفَ، وَقَالَ قَوْلًا فَضْلًا، حَيْثُ يَقُولُ:
كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ، وَيُتْرَكُ، إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**قَالَ الشَّافِعِيُّ: الْعِلْمُ يَدُورُ عَلَى ثَلَاثَةٍ: مَالِكٍ، وَاللَّيْثِ،
وَأَبْنِ عُيَيْنَةَ.**

**قُلْتُ: بَلْ وَعَلَى سَبْعَةٍ مَعَهُمْ، وَهُمْ: الْأَوْزَاعِيُّ، وَالثَّوْرِيُّ،
وَمَعْمَرٌ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَشُعْبَةُ، وَالْحَمَّادَانِ.**

**وَرُوِيَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذَكَرَ مَالِكًا، يَقُولُ:
عَالِمُ الْعُلَمَاءِ، وَمُفْتِي الْحَرَمَيْنِ.**



وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ،
وَأَبْنِ أَبِي لَيْلَى.

وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ مَالِكًا، فَقَدَّمَهُ عَلَى الْأَوْزَاعِيِّ،
وَالثَّوْرِيِّ، وَاللَّيْثِ، وَحَمَّادٍ، وَالْحَكَمِ، فِي الْعِلْمِ. وَقَالَ: هُوَ
إِمَامٌ فِي الْحَدِيثِ، وَفِي الْفِقْهِ.

قَالَ مَالِكٌ: مَا أَفْتَيْتُ حَتَّى شَهِدَ لِي سَبْعُونَ أَنِّي أَهْلٌ
لِذَلِكَ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّرَّاجُ: سَمِعْتُ الْبُخَارِيَّ يَقُولُ: أَصَحُّ
الْأَسَانِيدِ: مَالِكٌ، عَنِ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ.





مَنْ قَوْلِ مَالِكٍ فِي السُّنَّةِ

قال مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ:
 سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ بَعْدَهُ سُنًّا، الْأَخْذُ
 بِهَا اتِّبَاعٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ
 اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظْرُ فِي شَيْءٍ
 خَالَفَهَا، مَنْ اهْتَدَى بِهَا، فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنْ اسْتَنْصَرَ بِهَا، فَهُوَ
 مَنْصُورٌ، وَمَنْ تَرَكَهَا، اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاةُ اللَّهِ مَا
 تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى: قَالَ مَالِكٌ: أَكَلَّمَا جَاءَنَا
 رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ، تَرَكَنَا مَا نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَدَلِهِ!؟

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: كُنَّا عِنْدَ مَالِكٍ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ،
 فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]



كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَمَا وَجَدَ مَالِكٌ مِنْ شَيْءٍ مَا وَجَدَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ،
فَنَظَرَ إِلَى الْأَرْضِ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِعُودٍ فِي يَدِهِ، حَتَّى عَلَاهُ
الرُّحْضَاءُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَرَمَى بِالْعُودِ، وَقَالَ: الْكَيْفُ
مِنْهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ
وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدَعَةٍ، وَأَظْنُكَ صَاحِبَ بِدَعَةٍ. وَأَمَرَ
بِهِ، فَأُخْرِجَ.

وَرَوَى: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِ (الرَّدِّ عَلَى
الْجَهْمِيَّةِ) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ مَالِكٌ: اللَّهُ فِي
السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ
اللَّهِ، وَكَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ.

وَرَوَى ابْنُ نَافِعٍ، عَنْ مَالِكٍ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ،
يُجَلَدُ وَيُحْبَسُ.



قَالَ الْقَاضِي: وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ مَالِكٍ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَبَعْضُهُ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ.



فَصْلٌ

قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ فِي (مُسْنَدِ مَالِكٍ) بِإِسْنَادٍ صَحَّحَ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ:
قَالَ مَالِكٌ: نَشَرَ نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عِلْمًا كَثِيرًا أَكْثَرَ مِمَّا نَشَرَ
عَنْهُ بَنُوهُ.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ مَالِكٌ: كُنْتُ آتِي نَافِعًا، وَأَنَا غُلَامٌ
حَدِيثُ السِّنِّ، فَيَنْزِلُ مِنْ دَرَجِهِ، فَيَقِفُ مَعِي، وَيُحَدِّثُنِي،
وَكَانَ يَجْلِسُ بَعْدَ الصُّبْحِ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَا يَكَادُ يَأْتِيهِ أَحَدٌ.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ أَيْضًا: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: حَقٌّ عَلَيَّ
مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ، وَسَكِينَةٌ، وَخَشْيَةٌ.



وقال: قال مالك: بَلَّغَنِي أَنَّهُ مَا زَهَدَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا وَاتَّقَى،
إِلَّا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ.

وقال: قال مالك: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَهَبَ يَمْدَحُ نَفْسَهُ، ذَهَبَ
بَهَاؤُهُ.

قال ابن وهب: قِيلَ لِأَخْتِ مَالِكٍ: مَا كَانَ شُغْلُ مَالِكٍ فِي
بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: الْمُصْحَفُ وَالتَّلَاوَةُ.

قال خالد بن نزار الأيلي: بَعَثَ الْمَنْصُورُ إِلَى مَالِكٍ حِينَ
قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدِ اخْتَلَفُوا بِالْعِرَاقِ، فَضَعُ
كِتَابًا نَجَمْعُهُمْ عَلَيْهِ. فَوَضَعَ (المُوطَّأ).

قال الشافعي: مَا فِي الْأَرْضِ كِتَابٌ فِي الْعِلْمِ أَكْثَرُ صَوَابًا
مِنْ (مُوطَّأ مَالِك).

قلت: هَذَا قَالَهُ قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّفَ الصَّحِيحَانِ.



قَالَ أَبُو مُصْعَبٍ: كَانُوا يَزِدَحُمُونَ عَلِيَّ بَابِ مَالِكٍ حَتَّى
يُقْتَلُوا مِنَ الزَّحَامِ، وَكُنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَهُ، لَا يَلْتَفِتُ ذَا إِلَى ذَا،
قَائِلُونَ بِرُؤُوسِهِمْ هَكَذَا، وَكَانَتِ السَّلَاطِينُ تَهَابُهُ، وَكَانَ
يَقُولُ: لَا، وَنَعَمْ، وَلَا يُقَالُ لَهُ: مَنْ أَيْنَ قُلْتُ ذَا؟

قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَالِكٍ:

يَدْعُ الْجَوَابَ فَلَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً

وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِي الْأَذْقَانِ

عِزُّ الْوَقَارِ وَنُورُ سُلْطَانِ التُّقَى

فَهُوَ الْمَهِيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

قَالَ ابْنُ مَهْدِيٍّ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَهْيَبَ، وَلَا أَتَمَّ عَقْلًا مِنْ

مَالِكٍ، وَلَا أَشَدَّ تَقْوَى.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: مَا نَقَلْنَا مِنْ أَدَبِ مَالِكٍ، أَكْثَرَ مِمَّا تَعَلَّمْنَا

مِنْ عِلْمِهِ.



وَفَاةُ مَالِكٍ

قَالَ الْقَعْنَبِيُّ: سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: عُمُرُ مَالِكٍ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً.

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ: مَرَضَ مَالِكٌ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَهْلِنَا عَمَّا قَالَ عِنْدَ الْمَوْتِ. قَالُوا: تَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ:

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: آية ٤].

تُوفِّي: صَبِيحَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً، فَصَلَّى عَلَيْهِ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ الْهَاشِمِيِّ. وَغَسَلَهُ: ابْنُ أَبِي زَنْبِرٍ، وَابْنُ كِنَانَةَ، وَابْنُهُ يَحْيَى وَكَاتِبُهُ حَبِيبٌ يَصْبَانُ عَلَيْهِمَا الْمَاءَ.

قُلْتُ: وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ.



﴿ الإمام الشافعي ﴾

مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ شَافِعِ بْنِ السَّائِبِ
بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ بْنِ
قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ.

الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو
عبد الله القرشي، ثم المطلب، الشافعي، المكي، الغزي،
المولد، نسيب رسول الله (١) وابن عمه، فالمطلب هو أخو
هاشم واليد عبد المطلب.

ولد الإمام الشافعي بغزة، ومات أبوه إدريس شاباً، فنشأ
محمد يتيماً في حجر أمه، فخافت عليه الضيعة، فتحوّلت
به إلى محته (٢) وهو ابن عامين، فنشأ بمكة، وأقبل على

(١) أي أن بينه وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسباً، فالجد الثالث من أجداد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وهو عبد مناف) هو الجد التاسع من أجداد الشافعي رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) محته: أي أصله.



الرَّمِي، حَتَّى فَاقَ فِيهِ الْأَقْرَانَ، وَصَارَ يُصِيبُ مِنْ عَشْرَةِ أَسْهُمٍ تِسْعَةً، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّرْعِ، فَبَرَعَ فِي ذَلِكَ، وَتَقَدَّمَ.

ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْفِقْهُ، فَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ.

وَأَخَذَ الْعِلْمَ بِيَدِهِ عَنْ: مُسْلِمِ بْنِ خَالِدِ الزَّنَجِيِّ - مُفْتِي مَكَّةَ - وَأَخَذَ عَنْ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ شَافِعٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْعَبَّاسِ جَدِّ الشَّافِعِيِّ - وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ، وَعِدَّةٍ.

وَارْتَحَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ ابْنُ نَيْفٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَقَدْ أَفْتَى وَتَأَهَّلَ لِلْإِمَامَةِ، فَحَمَلَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ (المُوطَّأ)، عَرَضَهُ مِنْ حِفْظِهِ.

وَأَخَذَ بِالْيَمَنِ عَنْ: مُطَرِّفِ بْنِ مَازِنٍ، وَهَشَامِ بْنِ يُوسُفَ الْقَاضِي، وَطَائِفَةٍ.

وَبِغَدَادَ عَنْ: مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ؛ فَقِيهِ الْعِرَاقِ، وَلَا زَمَهُ، وَحَمَلَ عَنْهُ وَوَقَّرَ بَعِيرٍ.



وَصَنَّفَ التَّصَانِيفَ، وَدَوَّنَ الْعِلْمَ، وَرَدَّ عَلَى الْأَئِمَّةِ مُتْبِعًا
الْآثَرَ، وَصَنَّفَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ، وَبَعْدَ صِحَّتِهِ، وَتَكَاتُرِ
عَلَيْهِ الطَّلَبَةِ.

حَدَّثَ عَنْهُ: الْحُمَيْدِيُّ، وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ،
وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَالْبُؤَيْطِيُّ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ الْمَكِّيُّ
صَاحِبُ (الْحَيْدَةِ) وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهَ، وَالرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ
الْمُرَادِيِّ، وَالرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْحِزْيِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَخَلَقَ سِوَاهُمْ.

وَقَدْ أَفْرَدَ الدَّارِقُطْنِيُّ كِتَابَ (مَنْ لَهُ رِوَايَةٌ عَنِ الشَّافِعِيِّ)
فِي جُزْأَيْنِ، وَصَنَّفَ الْكِبَارُ فِي مَنَاقِبِ هَذَا الْإِمَامِ، قَدِيمًا
وَحَدِيثًا، وَنَالَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْهُ غَضًّا، فَمَا زَادَهُ ذَلِكَ إِلَّا رِفْعَةً
وَجَلَالَةً، وَلَا حَ لِّلْمُنْصِفِينَ أَنَّ كَلَامَ أَقْرَانِهِ فِيهِ بِهَوَى، وَقَلَّ مَنْ
بَرَّرَ فِي الْإِمَامَةِ وَرَدَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ إِلَّا وَعُودِي - نَعُودُ بِاللَّهِ
مِنَ الْهَوَى - وَهَذِهِ الْأُورَاقُ تَضِيقُ عَنْ مَنَاقِبِ هَذَا السَّيِّدِ.



فَأَمَّا جَدُّهُمُ السَّائِبُ الْمُطَّلِبِيُّ، فَكَانَ مِنْ كِبَرَاءِ مَنْ حَضَرَ
بَدْرًا مَعَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَسْرَ يَوْمَئِذٍ، وَكَانَ يُشَبَّهُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ بَعْدَ أَنْ فَدَى نَفْسَهُ، أَسْلَمَ.

وَابْنُهُ شَافِعُ بْنُ السَّائِبِ: لَهُ رُؤْيَاةٌ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي صِغَارِ
الصَّحَابَةِ (١) وَوَلَدَهُ عُثْمَانُ: تَابِعِيٌّ، لَا أَعْلَمُ لَهُ كَبِيرَ رِوَايَةٍ.

قَالَ الْمُزَنِّيُّ: مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ وَجْهًا مِنَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ
الله! وَكَانَ رُبَّمَا قَبْضَ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَلَا يَفْضُلُ عَنْ قَبْضَتِهِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بُرَّانَةَ: كَانَ الشَّافِعِيُّ جَسِيمًا، طَوَالًا،
نَبِيلًا.

قَالَ الرَّبِيعُ الْمُؤَدِّنُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: كُنْتُ أَلْزَمُ
الرَّمِيَّ حَتَّى كَانَ الطَّبِيبُ يَقُولُ لِي: أَخَافُ أَنْ يُصِيبَكَ السُّلُّ
مِنْ كَثْرَةِ وَقُوفِكَ فِي الْحَرِّ.

(١) قال البيهقي: السائب بن عبيد صحابي، وولده شافع صحابي.



قَالَ: وَكُنْتُ أُصِيبُ مِنَ الْعَشْرَةِ تِسْعَةً (١).

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَوَادٍ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: كَانَتْ نَهْمَتِي فِي الرَّمِي، وَطَلَبِ الْعِلْمِ، فَنِلْتُ مِنَ الرَّمِي حَتَّى كُنْتُ أُصِيبُ مِنْ عَشْرَةِ عَشْرَةٍ، وَسَكَتَ عَنِ الْعِلْمِ.

فَقُلْتُ: أَنْتَ - وَاللَّهِ - فِي الْعِلْمِ أَكْبَرُ مِنْكَ فِي الرَّمِي.

قَالَ الْحَمِيدِيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: كُنْتُ يَتِيمًا فِي حَجْرِ أُمِّي، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَا تُعْطِينِي لِلْمُعَلِّمِ، وَكَانَ الْمُعَلِّمُ قَدْ رَضِيَ مِنِّي أَنْ أَقُومَ عَلَى الصَّبِيَّانِ إِذَا غَابَ، وَأُخْفَفَ عَنْهُ.

وَعَنِ الشَّافِعِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ فِي الْأَكْتَابِ وَالْعِظَامِ، وَكُنْتُ أَذْهَبُ إِلَى الدِّيَوَانِ، فَأَسْتَوْهَبُ الظُّهُورَ، فَأَكْتُبُ فِيهَا.

قَالَ الْحَمِيدِيُّ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: كَانَ مَنْزِلُنَا بِمَكَّةَ فِي شِعْبِ الْحَيْفِ، فَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْعِظْمِ يَلُوحُ، فَأَكْتُبُ فِيهِ الْحَدِيثَ،

(١) كان الشافعي في صباه مولعاً بالرمي بالقوس والسهم، حتى فاق أقرانه في ذلك.



أَوِ الْمَسْأَلَةِ، وَكَانَتْ لَنَا جَرَّةٌ قَدِيمَةٌ، فَإِذَا امْتَلَأَ الْعَظْمُ طَرَحْتُهُ فِي الْجَرَّةِ.

قَالَ الْمُزْنِي: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: حَفِظْتُ الْقُرْآنَ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، وَحَفِظْتُ الْمُوْطَأَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: وُلِدَ الشَّافِعِيُّ يَوْمَ مَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ، رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ قُسْطَنْطِينٍ.

قَالَ الْحَمِيدِيُّ: قَالَ مُسْلِمٌ بْنُ خَالِدِ الزَّنَجِيِّ لِلشَّافِعِيِّ: أَفَتِ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، فَقَدْ - وَاللهِ - آنَ لَكَ أَنْ تُفْتِيَ. وَكَانَ الشَّافِعِيُّ ابْنَ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً!

قَالَ الرَّبِيعُ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: لِأَنَّ يَلْقَى اللهُ الْعَبْدَ بِكُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الشَّرْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ.



قال ابن عبد الحكم، سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: لو علمَ الناسُ ما في الكلامِ (١) من الأهواءِ لفرُّوا منه، كما يفرُّونَ من الأسدِ.

قال أبو عبيدٍ: ما رأيتُ أعقلَ من الشافعيِّ.

وقال يونسُ الصِّدفيُّ: ما رأيتُ أعقلَ من الشافعيِّ، ناظرتهُ يوماً في مسألةٍ، ثمَّ افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثمَّ قال: يا أبا موسى، ألا يستقيمُ أن نكونَ إخواناً وإن لم نَتَّفِقْ في مسألةٍ؟ قلتُ: هذا يدلُّ على كمالِ عقلِ هذا الإمامِ، وفقهِ نفسه، فما زالَ النظراءُ يَحْتَلِفُونَ.

قال معمرُ بنُ شبيبٍ: سمعتُ المأمونَ يقولُ: قد امتحنتُ مُحَمَّدَ بنَ إدريسٍ في كُلِّ شيءٍ، فوجدتهُ كاملاً.

قال أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ ابنِ بنتِ الشافعيِّ: سمعتُ أبي وعمِّي يقولانِ: كانَ سُفيانُ بنُ عُيينَةَ إذا جاءهُ شيءٌ من التَّفْسِيرِ وَالفُتْيَا، التفتَ إلى الشافعيِّ، فيقولُ: سلوا هذا.

(١) يعني علم الكلام.



وَقَالَ سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، فَجَاءَ الشَّافِعِيُّ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ، فَرَوَى ابْنُ عُيَيْنَةَ حَدِيثًا رَقِيقًا، فَعُشِيَ عَلَى الشَّافِعِيِّ.

فَقِيلَ لِسُفْيَانَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ، فَقَالَ سُفْيَانُ: إِنْ كَانَ مَاتَ، فَقَدْ مَاتَ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ.

قَالَ الرَّبِيعُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ وَسُئِلَ عَنِ الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: أَفُّ أَفٍّ، الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، مَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ. وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

قَالَ الرَّبِيعُ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: قِرَاءَةُ الْحَدِيثِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ.

وَقَالَ: طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ.

قَالَ الْمُزَنِّيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ، وَمَنْ تَكَلَّمَ فِي الْفِقْهِ، نَمَا قَدْرُهُ، وَمَنْ كَتَبَ



الْحَدِيثَ، قَوِيَتْ حُجَّتُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي اللُّغَةِ، رَقَّ طَبَعُهُ،
وَمَنْ نَظَرَ فِي الْحِسَابِ، جَزُلَ رَأْيُهُ، وَمَنْ لَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ، لَمْ
يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ.

قَالَ الرَّبِيعُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: الْمِرَاءُ فِي الدِّينِ
يُقَسِّي الْقَلْبَ، وَيُورِثُ الضَّغَائِنَ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ أَيْضًا: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنْ
النَّاسَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ - يَعْنِي كُتُبَهُ - عَلَى أَنْ لَا يُنْسَبَ إِلَيَّ
مِنْهُ شَيْءٌ.

وَقَالَ حَرَمَلَةُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنْ كُلَّ عِلْمٍ
أَعَلَّمْتُهُ، تَعَلَّمَهُ النَّاسُ، أَوْ جُرَّ عَلَيْهِ وَلَا يَحْمَدُونِي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ دَاوُدَ يَقُولُ:
لَمْ يُحْفَظْ فِي دَهْرِ الشَّافِعِيِّ كُلُّهُ أَنْهُ تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ،
وَلَا نَسِبَ إِلَيْهِ، وَلَا عُرِفَ بِهِ، مَعَ بُغْضِهِ لِأَهْلِ الْكَلَامِ وَالْبِدْعِ.



قال الشافعي: حُكِمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا
بِالْجَرِيدِ، وَيُحْمَلُوا عَلَى الْإِبِلِ، وَيُطَافُ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ،
يُنَادِي عَلَيْهِمْ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ
عَلَى الْكَلَامِ.

وقال أبو عبد الرحمن الأشعري صاحب الشافعي: قَالَ
الشَّافِعِيُّ: مَذْهَبِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ تَقْنِيعُ رُؤُوسِهِمْ بِالسَّيَاطِ،
وَتَشْرِيدُهُمْ فِي الْبِلَادِ.

قلت: لَعَلَّ هَذَا مُتَوَاتِرٌ عَنِ الْإِمَامِ.

قال المزني: كَانَ الشَّافِعِيُّ يَنْهَى عَنِ الْخَوْضِ فِي الْكَلَامِ.

قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: سَمِعْتُ الرَّبِيعَ
يَقُولُ: لَمَّا كَلَّمَ الشَّافِعِيُّ حَفْصَ الْفَرْدُ، فَقَالَ حَفْصُ: الْقُرْآنُ
مَخْلُوقٌ. فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: كَفَرْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

قال البويطي: سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ: أَصْلِي خَلْفَ الرَّافِضِيِّ؟



قَالَ: لَا تُصَلِّ خَلْفَ الرَّافِضِيِّ، وَلَا الْقَدْرِيِّ، وَلَا الْمُرْجِيَّ.
فَقُلْتُ: صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ، فَهُوَ مُرْجِيٌّ،
وَمَنْ قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَيْسَا بِإِمَامَيْنِ، فَهُوَ رَافِضِيٌّ، وَمَنْ
جَعَلَ الْمَشِيئَةَ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ قَدْرِيٌّ.

قال الربيع: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَضَعَ عَلَى كُلِّ
مُخَالَفٍ كِتَابًا لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ لَيْسَ الْكَلَامُ مِنْ شَأْنِي، وَلَا
أَحَبُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ.

قلت: هَذَا النَّفْسُ الزَّكِيُّ مُتَوَاتِرٌ عَنِ الشَّافِعِيِّ.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قَالَ
الشَّافِعِيُّ: أَنْتُمْ أَغْلَمُ بِالْأَخْبَارِ الصَّحَّاحِ مِنَّا، فَإِذَا كَانَ خَبْرٌ
صَحِيحٌ، فَأَعْلِمْنِي حَتَّى أَذْهَبَ إِلَيْهِ.

وَقَالَ حَرَمَلَةٌ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: كُلُّ مَا قُلْتُهُ فَكَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِلَافُ قَوْلِي مِمَّا صَحَّ، فَهُوَ أَوْلَى، وَلَا تُقَلِّدُونِي.



وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: تَأْخُذُ بِهَذَا الْحَدِيثِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ:
مَتَى رَوَيْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ حَدِيثًا صَحِيحًا وَلَمْ آخُذْ بِهِ،
فَأَشْهَدُكُمْ أَنَّ عَقْلِي قَدْ ذَهَبَ.

وَقَالَ الْحَمِيدِيُّ: رَوَى الشَّافِعِيُّ يَوْمًا حَدِيثًا، فَقُلْتُ:
أَتَأْخُذُ بِهِ؟ فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتَنِي خَرَجْتُ مِنْ كَنِيسَةٍ، أَوْ عَلَيَّ
زِنَارٌ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - حَدِيثًا لَا أَقُولُ بِهِ!؟

وَيُرَوَى أَنَّهُ قَالَ: إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي، وَإِذَا صَحَّ
الْحَدِيثُ، فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي الْحَائِطَ.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: كَانَ الشَّافِعِيُّ قَدْ جَزَأَ اللَّيْلَ: فَثَلَاثَةٌ
الْأَوَّلُ يَكْتُبُ، وَالثَّانِي يُصَلِّي، وَالثَّالِثُ يَنَامُ.

قُلْتُ: أَفَعَالُهُ الثَّلَاثَةُ عِبَادَةٌ بِالنِّيَّةِ.

قَالَ الْكَرَابِيسِيُّ: بِتُّ مَعَ الشَّافِعِيِّ لَيْلَةً، فَكَانَ يُصَلِّي نَحْوَ



ثُلُثِ اللَّيْلِ، فَمَا رَأَيْتُهُ يَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ آيَةً، فَإِذَا أَكْثَرَ فَمِائَةَ آيَةٍ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ رَحْمَةٍ إِلَّا سَأَلَ اللَّهَ، وَلَا بِآيَةٍ عَذَابٍ إِلَّا تَعَوَّذَ، وَكَانَمَا جُمِعَ لَهُ الرَّجَاءُ وَالرَّهْبَةُ جَمِيعًا.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْهُ، بَلْ أَكْثَرَ: كَانَ الشَّافِعِيُّ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سِتِّينَ خَتْمَةً.

قَالَ عَمْرُو بْنُ سَوَادٍ: كَانَ الشَّافِعِيُّ أَسْخَى النَّاسِ عَلَى الدِّينَارِ وَالذَّرْهَمِ وَالطَّعَامِ.

وَقَالَ أَبُو ثَوْرٍ: قَلَّ مَا كَانَ يُمَسِكُ الشَّافِعِيُّ الشَّيْءَ مِنْ سَمَاحَتِهِ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ: أَخَذَ رَجُلٌ بِرِكَابِ الشَّافِعِيِّ، فَقَالَ لِي: أَعْطِهِ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرٍ.

وَقَالَ الْمُزْنِيُّ: كُنْتُ مَعَ الشَّافِعِيِّ يَوْمًا، فَخَرَجْنَا فَإِذَا بِرَجُلٍ يَرْمِي بِقَوْسٍ عَرَبِيَّةٍ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ، وَكَانَ



حَسَنَ الرَّمِي، فَأَصَابَ بِأَسْهُمٍ. فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: أَحْسَنْتَ،
وَبَرَكَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَعْطِهِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرٍ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ: كَانَ الشَّافِعِيُّ مَرًّا بِالْحَدَائِثِ، فَسَقَطَ
سَوْطُهُ، فَوَثَبَ غُلَامٌ، وَمَسَحَهُ بِكُمَّهِ، وَنَاوَلَهُ، فَأَعْطَاهُ سَبْعَةَ
دَنَانِيرٍ.

قَالَ الرَّبِيعُ: تَزَوَّجْتُ، فَسَأَلَنِي الشَّافِعِيُّ كَمْ أَصَدَقْتَهَا؟
قُلْتُ: ثَلَاثِينَ دِينَارًا، عَجَلْتُ مِنْهَا سِتَّةً، فَأَعْطَانِي أَرْبَعَةَ
وَعِشْرِينَ دِينَارًا.

قَالَ الرَّبِيعُ: مَشَيْتُ خَلْفَ الشَّافِعِيِّ، فَنَاوَلَهُ إِنْسَانٌ رُقْعَةً
يُقُولُ فِيهَا: إِنِّي بَقَّالٌ، رَأْسُ مَالِي دِرْهَمٌ، وَقَدْ تَزَوَّجْتُ،
فَاعْنِي. فَقَالَ: يَا رَبِيعُ، أَعْطِهِ ثَلَاثِينَ دِينَارًا. فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا
يَكْفِيهِ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ.

فَقَالَ: وَيْحَكَ! وَمَا يَصْنَعُ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا؟ أَفِي كَذَا، أَمْ فِي



كَذَا - وَأَخَذَ يُعَدُّ مَا يَصْنَعُ فِي جِهَارِهِ - ثُمَّ قَالَ: أَعْطَهُ.

وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْقُرَشِيُّ، عَنِ الشَّافِعِيِّ، قَالَ:
خَرَجَ هَرْثَمَةُ، فَأَقْرَأَنِي سَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ، وَقَالَ:
قَدْ أَمَرَ لَكَ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ.

قَالَ الْقُرَشِيُّ: فَحَمَلَ إِلَيْهِ الْمَالَ، فَأَخَذَ رِقَاعًا، فَصَرَّ
صُورًا، وَفَرَّقَهَا فِي الْقُرَشِيِّينَ، حَتَّى مَا رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا بِأَقْلٍ
مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: كَانَ الشَّافِعِيُّ أَسْخَى النَّاسِ بِمَا
يَجِدُ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا، فَإِنْ وَجَدَنِي، وَإِلَّا قَالَ: قُولُوا مُحَمَّدٌ
إِذَا جَاءَ: يَأْتِي الْمَنْزِلَ، فَإِنِّي لَا أَتَغَدَّى حَتَّى يَجِيءَ.

وَعَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: بَسَّ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانَ
عَلَى الْعِبَادِ.



قَالَ يُونُسُ الصَّدْفِيُّ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: لَيْسَ إِلَيَّ السَّلَامَةُ
مِنَ النَّاسِ سَبِيلٌ، فَانظُرِ الَّذِي فِيهِ صَلاَحُكَ فَالزَّمْهُ.

وَعَنِ الشَّافِعِيِّ قَالَ: إِذَا خِفْتَ عَلَى عَمَلِكَ الْعُجْبَ،
فَاذْكُرْ رِضَى مَنْ تَطْلُبُ، وَفِي أَيِّ نَعِيمٍ تَرَعْبُ، وَمِنْ أَيِّ
عِقَابٍ تَرَهَّبُ، فَمَنْ فَكَّرَ فِي ذَلِكَ، صَغُرَ عِنْدَهُ عَمَلُهُ.

وقد كتب عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ^(١) إِلَى الشَّافِعِيِّ وَهُوَ
شَابٌّ أَنْ يَضَعَ لَهُ كِتَابًا فِيهِ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَيَجْمَعُ قَبُولَ
الْأَخْبَارِ، وَحُجَّةَ الْإِجْمَاعِ، وَبَيَانَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، فَوَضَعَ
لَهُ كِتَابَ الرِّسَالَةِ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: مَا أَصَلِّي صَلَاةً إِلَّا وَأَنَا أَدْعُو
لِلشَّافِعِيِّ فِيهَا.

(١) عبد الرحمن بن مهدي إمام محدث، يُعَدُّ مِنْ أَكْبَرِ الْحُفَاظِ وَمِنْ أَجَلِّ الْعُلَمَاءِ،
وهو في طبقة شيوخ الإمام الشافعي.



وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ: سَمِعْتُ يَحْيَى الْقَطَّانَ يَقُولُ:
أَنَا أَدْعُو اللَّهَ لِلشَّافِعِيِّ، أَخِصَّهُ بِهِ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: سِتَّةٌ أَدْعُو لَهُمْ سَحَرًا، أَحَدُهُمُ:
الشَّافِعِيُّ.

وَقَالَ إِنِّي لَأَدْعُو لِلشَّافِعِيِّ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي صَلَاتِي.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ
رَجُلٍ كَانَ الشَّافِعِيُّ، فَإِنِّي سَمِعْتُكَ تُكثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُ؟
قَالَ: يَا بُنَيَّ، كَانَ كَالشَّمْسِ لِلدُّنْيَا، وَكَالْعَافِيَةِ لِلنَّاسِ، فَهَلْ
لِهَٰذَيْنِ مِنْ خَلْفٍ، أَوْ مِنْهُمَا عِوَضٌ؟

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: مَا رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (أحمد بن حنبل) يَمِيلُ
إِلَى أَحَدٍ مِثْلَهُ إِلَى الشَّافِعِيِّ.

قَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: مَاتَ الثُّورِيُّ وَمَاتَ الْوَرَعُ، وَمَاتَ
الشَّافِعِيُّ وَمَاتَتِ السُّنَنُ، وَيَمُوتُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَتَظْهَرُ الْبِدْعُ.



قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: إِنَّ اللَّهَ يُقَيِّضُ لِلنَّاسِ فِي رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ السُّنَنَ، وَيُنْفِي عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكُذْبَ.

ثم قال أحمد: فنظرنا، فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، فَكَأَنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا، هُمْ حَفِظُوا لَنَا الْأَصْلَ، فَلَهُمْ عَلَيْنَا الْفَضْلُ.

قال أبو زرعة: ما عند الشافعي حديث فيه غلط.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ: مَا أَعْلَمُ لِلشَّافِعِيِّ حَدِيثًا خَطَأً. قُلْتُ: هَذَا مِنْ أَدَلِّ شَيْءٍ عَلَى أَنَّهُ ثِقَةٌ، حُجَّةٌ، حَافِظٌ، وَنَاهِيكَ بِقَوْلٍ مِثْلِ هَذَيْنِ.



وَقَدْ صَنَّفَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ كِتَابًا فِي ثُبُوتِ
 الْاِحْتِجَاجِ بِالْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَمَا تَكَلَّمَ فِيهِ إِلَّا حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلٌ
 بِحَالِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ الْبَاطِلُ مِنْهُمْ مُوجِبًا لَارْتِفَاعِ شَأْنِهِ،
 وَعُلُوِّ قَدْرِهِ، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
 تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
 [الأحزاب: آية ٦٩].

قال أحمد بن حنبل: كان الشافعي من أفصح الناس.
 وقال يونس بن عبد الأعلى: ما كان الشافعي إلا ساحراً،
 كأن ألفاظه سُكَّرَ، وكان قد أُوتِيَ عُدُوبَةً مَنْطِقِيَّةً، وَحُسْنَ
 بِلَاغَةٍ، وَفَرَطَ ذِكَاةً، وَسَيْلَانَ ذِهْنٍ، وَكَمَالَ فَصَاحَةٍ، وَحُضُورَ
 حُجَّةٍ.

قال أحمد بن صالح: كان الشافعي إذا تكلم، كأن صوته
 صوت صنج وجرس، من حسن صوته.



قَالَ أَبُو نَعِيمٍ بْنُ عَدِيِّ الْحَافِظُ: سَمِعْتُ الرَّبِيعَ مَرَارًا يُقُولُ: لَوْ رَأَيْتَ الشَّافِعِيَّ وَحُسْنَ بَيَانِهِ، وَفَصَاحَتَهُ، لَعَجِبْتَ، وَلَوْ أَنَّهُ أَلْفَ هَذِهِ الْكُتُبِ عَلَى عَرَبِيَّتِهِ الَّتِي كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهَا مَعَنَا فِي الْمُنَازَرَةِ، لَمْ نَقْدِرْ عَلَى قِرَاءَةِ كُتُبِهِ لِفَصَاحَتِهِ وَغَرَائِبِ أَلْفَاظِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ فِي تَأْلِيفِهِ يُوضِحُ لِلْعَوَامِّ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: كَانَ لِسَانَ الشَّافِعِيِّ أَكْبَرُ مِنْ كُتُبِهِ، لَوْ رَأَيْتُمُوهُ، لَقَلْتُمْ إِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ كُتُبُهُ.

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامِ اللُّغَوِيُّ: طَالَتْ مُجَالَسَتُنَا لِلشَّافِعِيِّ، فَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ لِحْنَةً قَطُّ.

قُلْتُ: أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَبِمِثْلِهِ فِي الْفَصَاحَةِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ، كَانَ أَفْصَحُ قُرَيْشٍ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَ مِمَّا يُؤْخَذُ عَنْهُ اللُّغَةُ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ الرَّازِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْوَهَ، وَلَا أَنْطَقَ مِنَ الشَّافِعِيِّ.



وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: أَخَذْتُ شِعْرَ هُذَيْلٍ عَنِ الشَّافِعِيِّ.

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: أَخَذْتُ شِعْرَ هُذَيْلٍ وَوَقَائِعَهَا عَنْ عَمِّي مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَالَ: أَخَذْتُهَا مِنَ الشَّافِعِيِّ حِفْظًا.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: مَا رَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ يُنَاطِرُ أَحَدًا إِلَّا رَحِمْتُهُ، وَلَوْ رَأَيْتَ الشَّافِعِيَّ يُنَاطِرُكَ لَطَنْتُ أَنَّهُ سَبَعٌ يَأْكُلُكَ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَ النَّاسَ الْحُجَجَ.

وَعَنْ هَارُونَ بْنِ سَعِيدِ الْأَيْلِيِّ قَالَ: لَوْ أَنَّ الشَّافِعِيَّ نَاطَرَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْعُمُودَ الْحَجَرَ خَشَبٌ، لَغَلَبَ؛ لِاقْتِدَارِهِ عَلَى الْمُنَاطَرَةِ.

قَالَ ابْنُ وَارَةَ: قَدِمْتُ مِنْ مِصْرَ، فَأَتَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ لِي: كَتَبْتَ كُتُبَ الشَّافِعِيِّ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَرَطْتَ، مَا عَرَفْنَا الْعُمُومَ مِنَ الْخُصُوصِ، وَنَاسِخَ الْحَدِيثِ مِنْ مَنْسُوخِهِ حَتَّى جَالَسْنَا الشَّافِعِيَّ.



قَالَ: فَحَمَلَنِي ذَلِكَ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى مِصْرَ، فَكَتَبْتُهَا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْفَرَجِيُّ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِكُتُبِ الشَّافِعِيِّ.

قُلْتُ: وَمِنْ بَعْضِ فُنُونِ هَذَا الْإِمَامِ الطَّبُّ، فَقَدْ كَانَ يَدْرِيهِ.

قَالَ الرَّبِيعُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: لَا أَعْلَمُ عِلْمًا بَعْدَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، أَنْبَلَ مِنَ الطَّبِّ، إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ غَلَبُونَا عَلَيْهِ.

وَقَالَ مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِأَيَّامِ النَّاسِ مِنَ الشَّافِعِيِّ.

وَقَالَ يُونُسُ الصَّدْفِيُّ: كَانَ الشَّافِعِيُّ إِذَا أَخَذَ فِي أَيَّامِ النَّاسِ، قُلْتُ: هَذِهِ صِنَاعَتُهُ.

وَنَقَلَ الْإِمَامُ ابْنُ سُرَيْجٍ عَنْ بَعْضِ النَّسَابِينَ، قَالَ: كَانَ الشَّافِعِيُّ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْأَنْسَابِ، لَقَدْ اجْتَمَعُوا مَعَهُ لَيْلَةً،



فَذَاكَرَهُمْ بِأَنْسَابِ النَّسَاءِ إِلَى الصَّبَاحِ، وَقَالَ: أَنْسَابُ الرَّجَالِ
يَعْرِفُهَا كُلُّ أَحَدٍ!

وَعَنِ الشَّافِعِيِّ، قَالَ: مَا أَرَدْتُ بِهَا - يَعْنِي: بِالْعَرَبِيَّةِ
وَالْأَخْبَارِ - إِلَّا الْاسْتِعَانَةَ عَلَى الْفِقْهِ.

قَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا لَقِيَ مِنَ السُّقْمِ
مَا لَقِيَ الشَّافِعِيُّ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ مَا بَعْدَ الْعِشْرِينَ
وَالْمِائَةَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ، فَقرَأْتُ، فَلَمَّا قُمْتُ، قَالَ: لَا تَغْفُلْ
عَنِّي فَإِنِّي مَكْرُوبٌ.

قَالَ يُونُسُ: عَنِي بِقِرَاءَتِي مَا لَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ.

قال المُرْزِي: دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي
مَاتَ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟
فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلًا، وَلِإِخْوَانِي



مُفَارِقًا، وَلِسُوءِ عَمَلِي مُلَاقِيًا، وَعَلَى اللهِ وَارِدًا، مَا أَدْرِي
رُوحِي تَصِيرُ إِلَى جَنَّةٍ فَأُهْنِيهَا، أَوْ إِلَى نَارٍ فَأُعْزِّيَهَا، ثُمَّ بَكَى
وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
جَعَلْتُ رَجَائِي دُونَ عَفْوِكَ سُلْمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ
تَجُودُ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمًا

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: دَخَلْتُ
عَلَى الشَّافِعِيِّ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقَالَ لِي: بَوَدِّي أَنْ جَمِيعَ الْخَلْقِ
تَعَلَّمُوا هَذِهِ الْكُتُبَ - يَعْنِي: كُتُبَهُ - عَلَى أَنْ لَا يُنْسَبَ إِلَيَّ مِنْهُ
شَيْءٌ.

قَالَ هَذَا يَوْمَ الْأَحَدِ، وَمَاتَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَأَنْصَرَفْنَا مِنْ



جَنَازَتَهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَرَأَيْنَا هِلَالَ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ،
وَلَهُ نَيْفٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ الْهَكَارِيُّ،
فِي كِتَابِ (عَقِيدَةِ الشَّافِعِيِّ) لَهُ: قَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى،
سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ
تَعَالَى - فَقَالَ: لِلَّهِ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ، جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ، وَأَخْبَرَ بِهَا
نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ، لَا يَسَعُ أَحَدًا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ رَدَّهَا،
لَأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِهَا، وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَوْلُ
بِهَا، فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، فَهُوَ كَافِرٌ، فَأَمَّا
قَبْلَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ، فَمَعْدُورٌ بِالْجَهْلِ، لِأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ
بِالْعَقْلِ، وَلَا بِالرَّوِيَّةِ وَالْفِكْرِ، وَلَا نُكْفَرُ بِالْجَهْلِ بِهَا أَحَدًا، إِلَّا
بَعْدَ انْتِهَاءِ الْخَبَرِ إِلَيْهِ بِهَا، وَنُثِبَتْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَنَنْفَى عَنْهَا
التَّشْبِيهَ، كَمَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: آية ١١]



قَالَ الْمُبَرِّدُ: كَانَ الشَّافِعِيُّ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ، وَآدِبِ النَّاسِ،
وَاعْرَفِهِمْ بِالْقِرَاءَاتِ.

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: كَانَ الشَّافِعِيُّ إِذَا أَخَذَ
فِي التَّفْسِيرِ، كَأَنَّهُ شَهِدَ التَّنْزِيلَ.

قَالَ الزَّعْفَرَانِيُّ: قَدِمَ عَلَيْنَا الشَّافِعِيُّ بَغْدَادَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
وَتِسْعِينَ، فَأَقَامَ عِنْدَنَا شَهْرًا، ثُمَّ خَرَجَ.

وَكَانَ يَخْضِبُ بِالْحِنَاءِ، وَكَانَ خَفِيفَ الْعَارِضِينَ.

قَالَ ابْنُ مَاجَهَ: جَاءَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ،
فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهُ، إِذْ مَرَّ الشَّافِعِيُّ عَلَى بَغْلِيَّتِهِ، فَوَثَبَ أَحْمَدُ يُسَلِّمُ
عَلَيْهِ، وَتَبِعَهُ فَأَبْطَأَ، وَيَحْيَى جَالِسٌ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ يَحْيَى: يَا
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا هَذَا؟

فَقَالَ: دَعُ عَنْكَ هَذَا، إِنَّ أَرَدْتَ الْفِقْهَ فَالْزَمْ بَغْلَةَ هَذَا
الرجل.



قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ النَّسَائِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ مَا لَا أَحْصِيهِ وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ، ثُمَّ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا اتَّبَعَ لِلْأَثَرِ مِنَ الشَّافِعِيِّ.

قَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: يَا يُونُسَ، الْإِنْقِبَاضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعَدَاوَةِ، وَالْإِنْبِسَاطُ إِلَيْهِمْ مَجْلَبَةٌ لِقِرْنَاءِ السُّوءِ، فَكُنْ بَيْنَ الْمُتَقَبِّضِ وَالْمُنْبَسِطِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: الْعِلْمُ مَا نَفَعَ، لَيْسَ الْعِلْمُ مَا حُفِظَ.

وَقَالَ: اللَّيْبُ الْعَاقِلُ، هُوَ الْفَطْنُ الْمُتَغَافِلُ.

وَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ الْمَاءَ الْبَارِدَ يُنْقِصُ مُرُوءَتِي، مَا شَرِبْتَهُ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَلَاةً مِنَ الشَّافِعِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْ مُسْلِمِ بْنِ خَالِدٍ، وَأَخَذَ مُسْلِمٌ مِنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَأَخَذَ ابْنُ جُرَيْجٍ مِنْ عَطَاءٍ، وَأَخَذَ عَطَاءٌ مِنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَأَخَذَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ،



وَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد عدَّ الخَطِيبُ البغدادي عُلُومَ الإِمَامِ الشافعي
وَمَنَاقِبَهُ، وَتَعَظِيمَ الأئِمَّةِ لَهُ، وَقَالَ:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا رَفَعَهُ وَعُلوَّهُ

وَلَيْسَ لِمَا يُعْلِيهِ ذُو العَرْشِ وَاضِعٌ

قلت: لَا نُلَامُ وَاللهِ عَلَى حُبِّ هَذَا الإِمَامِ، لِأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ

الكَمَالِ فِي زَمَانِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ.





﴿ الإمام أحمد بن حنبل ﴾

هُوَ: الإِمَامُ حَقًّا، وَشَيْخُ الإِسْلَامِ صِدْقًا، أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ، الْمَرْوَزِيُّ، ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ، أَحَدُ الأئمةِ الأعلامِ.

كَانَ مُحَمَّدٌ وَالِدُ أَبِي عَبْدِ اللهِ مِنْ أَجْنَادِ مَرْوٍ، مَاتَ شَابًّا، لَهُ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً.

وَرَبِّي أَحْمَدٌ يَتِيمًا، وَقِيلَ: إِنَّ أُمَّهُ تَحَوَّلَتْ مِنْ مَرْوٍ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ.

فَقَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبِي: وُلِدْتُ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ.

قَالَ صَالِحٌ: جِيءَ بِأَبِي حَمَلٌ مِنْ مَرْوٍ، فَمَاتَ أَبُوهُ شَابًّا، فَوَلِيَتْهُ أُمُّهُ.



شُيُوخُه

طَلَبَ الْعِلْمَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فِي الْعَامِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ مَالِكٌ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ.

فَسَمِعَ مِنْ هُشَيْمِ بْنِ بَشِيرٍ فَأَكْثَرَ وَجَوَّدَ. وَمِنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ الْهَلَالِيِّ، وَالْقَاضِي أَبِي يُوسُفَ، وَجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ، وَغُنْدَرٍ، وَابْنِ عُلَيَّةَ، وَيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ.

وَسَمِعَ مِنْ وَكَيْعٍ - فَأَكْثَرَ - وَيَحْيَى الْقَطَّانِ - فَبَالَغَ - وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ، إِلَى أَنْ يَنْزِلَ فِي الرَّوَايَةِ عَنْ: قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَقْرَانِهِ.

وعدد شُيُوخِهِ الَّذِينَ رَوَى عَنْهُمْ فِي (المُسْنَدِ): مائَتَانِ وَثَمَانُونَ وَنِيفٌ.



وَحَدَّثَ عَنْهُ: الْبُخَارِيُّ حَدِيثًا، وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ
عَنْهُ حَدِيثًا آخَرَ فِي الْمَغَازِي.

وَحَدَّثَ عَنْهُ: مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ بِجُمْلَةٍ وَافِرَةٍ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ أَيْضًا: وَلَدَاهُ؛ صَالِحٌ وَعَبْدُ اللهِ، وَابْنُ عَمِّهِ؛
حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَشَيْوُخُهُ؛ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَالشَّافِعِيُّ، لَكِنَّ
الشَّافِعِيَّ لَمْ يُسَمِّهِ، بَلْ قَالَ: حَدَّثَنِي الثَّقَةُ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ: عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَأَبُو
زُرْعَةَ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَأَمَمٌ سِوَاهُمْ.





صِفَتُهُ

قال مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّاسِ النَّحْوِيِّ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ حَسَنَ الْوَجْهِ، رُبْعَةً، يَخْضِبُ بِالْحِنَاءِ خِضَابًا لَيْسَ بِالْقَانِي، فِي لِحْيَتِهِ شَعْرَاتٌ سُودٌ، وَرَأَيْتُ ثِيَابَهُ غِلَظًا بِيضًا، وَرَأَيْتُهُ مُعْتَمًا، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ.

وَقَالَ الْمَرْوُذِيُّ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِذَا كَانَ فِي الْبَيْتِ، عَامَّةً جُلُوسِهِ مُتْرَبَعًا خَاشِعًا. فَإِذَا كَانَ بَرًّا، لَمْ يَتَبَيَّنْ مِنْهُ شِدَّةُ خُشُوعٍ، وَكُنْتُ أَدْخُلُ وَالْجُزءُ فِي يَدِهِ يَقْرَأُ.

وقال الميموني: مَا أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْظَفَ بَدَنًا، وَلَا أَشَدَّ تَعَاهِدًا لِنَفْسِهِ فِي شَارِبِهِ وَشَعْرِ رَأْسِهِ وَشَعْرِ بَدَنِهِ، وَلَا أَنْقَى ثَوْبًا بِشِدَّةِ بِيَاضٍ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال عبد الله بن أحمد، قال لي أبي: خُذْ أَيَّ كِتَابٍ شِئْتَ مِنْ كُتُبِ وَكَيْعٍ مِنَ الْمُصَنَّفِ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْأَلَنِي



عَنِ الْكَلَامِ حَتَّى أُخْبِرَكَ بِالِإِسْنَادِ، وَإِنْ شِئْتَ بِالِإِسْنَادِ حَتَّى أُخْبِرَكَ أَنَا بِالْكَلامِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبُو زُرْعَةَ: أَبُوكَ يَحْفَظُ أَلْفَ أَلْفِ حَدِيثٍ. فَقِيلَ لَهُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ: ذَاكَرْتُهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ.

فَهَذِهِ حِكَايَةٌ صَحِيحَةٌ فِي سَعَةِ عِلْمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانُوا يُعَدُّونَ فِي ذَلِكَ الْمُكْرَرِ، وَالْأَثَرِ، وَفَتْوَى التَّابِعِيِّ، وَمَا فَسَّرَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَإِلَّا فَالْمُتُونِ الْمَرْفُوعَةُ الْقَوِيَّةُ لَا تَبْلُغُ عَشْرَ مِئَاتٍ ذَلِكَ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، كَانَ اللهُ جَمَعَ لَهُ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

وَقَالَ ابْنُ رَاهَوِيَةَ: كُنْتُ أَجَالِسُ أَحْمَدَ وَابْنَ مَعِينٍ، وَنَتَذَاكِرُ، فَأَقُولُ: مَا فَهْمُهُ؟ مَا تَفْسِيرُهُ؟ فَيَسْكُتُونَ إِلَّا أَحْمَدَ.



قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ: كَانَ أَحْمَدُ قَدْ كَتَبَ كُتُبَ الرَّأْيِ
وَحَفِظَهَا، ثُمَّ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَمَّاسٍ: سَمِعْتُ وَكِيعًا وَحَفْصَ بْنَ
غِيَاثٍ يَقُولَانِ: مَا قَدِمَ الْكُوفَةَ مِثْلُ ذَلِكَ الْفَتَى، يَعْنِيَانِ: أَحْمَدَ
بْنَ حَنْبَلٍ.

قَالَ يَحْيَى الْقَطَّانُ: مَا قَدِمَ عَلَيْنَا مِثْلُ هَذَيْنِ؛ أَحْمَدَ،
وَيَحْيَى بْنَ مَعِينٍ، وَمَا قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ بَغْدَادَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

وَقَالَ مُهَنَّابُ بْنُ يَحْيَى: قَدْ رَأَيْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ، وَوَكَيْعًا، وَعَبْدَ
الرِّزَّاقِ، وَالنَّاسَ. مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَجْمَعَ مِنْ أَحْمَدَ فِي عِلْمِهِ
وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قَدِمْتُ
صَنْعَاءَ، أَنَا وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، فَمَضَيْتُ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي



قَرِيَّتِهِ، وَتَخَلَّفَ يَحْيَى، فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَدُقُّ الْبَابَ، قَالَ لِي بِقَالَ
تُجَاهُ دَارِهِ: مَهْ، لَا تَدُقِّ، فَإِنَّ الشَّيْخَ يُهَابُ. فَجَلَسْتُ حَتَّى إِذَا
كَانَ قَبْلَ الْمَغْرَبِ، خَرَجَ، فَوَثَبْتُ إِلَيْهِ، وَفِي يَدِي أَحَادِيثُ
انْتَقَيْتُهَا، فَسَلَّمْتُ، وَقُلْتُ: حَدَّثَنِي بِهَذِهِ -رَحِمَكَ اللهُ- فَإِنِّي
رَجُلٌ غَرِيبٌ.

قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟

قُلْتُ: أَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

قَالَ: فَضَمَّنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: بِاللَّهِ أَنْتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ؟
ثُمَّ أَخَذَ الْأَحَادِيثَ، وَجَعَلَ يَقْرُؤُهَا حَتَّى أَظْلَمَ اللَّيْلُ.

قال الرَّمَادِيُّ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ، ذَكَرَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ،
فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ نَفَقَتَهُ نَفَدَتْ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ،
فَأَقَمْتُهُ خَلْفَ الْبَابِ، وَمَا مَعَنَا أَحَدٌ، فَأَعْطَيْتُهُ عَشْرَةَ دنانيرَ،
فَقَالَ لِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ قَبِلْتُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا، قَبِلْتُ مِنْكَ.



وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قُلْتُ لِأَبِي: بَلِّغْنِي أَنَّ عَبْدَ الرَّزَّاقِ عَرَضَ
عَلَيْكَ دَنَانِيرٌ؟

قَالَ: نَعَمْ، وَأَعْطَانِي يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ خَمْسَ مِائَةِ دِرْهَمٍ
- أَظُنُّ - فَلَمْ أَقْبَلُ.

قَالَ الْجَوْزَجَانِيُّ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يُصَلِّي بِعَبْدِ
الرَّزَّاقِ، فَسَهَا، فَسَأَلَ عَنْهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ
شَيْئًا مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ!

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ الْقَطَّانُ: مَا رَأَيْتُ يَزِيدًا لِأَحَدٍ أَشَدَّ
تَعْظِيمًا، مِنْهُ لِأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَلَا أَكْرَمَ أَحَدًا مِثْلَهُ، كَانَ
يُقْعِدُهُ إِلَى جَنْبِهِ، وَيُوقِّرُهُ، وَلَا يُمَارِحُهُ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْقَهَ وَلَا أَوْرَعَ مِنْ أَحْمَدَ
بِ بْنِ حَنْبَلٍ.



قُلْتُ: قَالَ هَذَا، وَقَدْ رَأَى مِثْلَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكٍ وَابْنَ جُرَيْجٍ.
وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ عَلِيَّةَ: أَنَّهُ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَقَالَ: هَا
هُنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قُولُوا لَهُ يَتَقَدَّمُ يُصَلِّي بِنَا.
وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ الْحَافِظُ: إِنَّ عَاشَ أَحْمَدُ، سَيَكُونُ
حُجَّةً عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ.

وَقَالَ قُتَيْبَةُ: خَيْرُ أَهْلِ زَمَانِنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، ثُمَّ هَذَا الشَّابُّ
-يَعْنِي: أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ- وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يُحِبُّ أَحْمَدَ،
فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

وَلَوْ أَدْرَكَ عَصْرَ الثَّوْرِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَاللَيْثِ، لَكَانَ هُوَ
الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ.

فَقِيلَ لِقُتَيْبَةَ: يُضَمُّ أَحْمَدُ إِلَى التَّابِعِينَ؟

فَقَالَ: إِلَى كِبَارِ التَّابِعِينَ.

قُلْتُ: قَدْ رَوَى أَحْمَدُ فِي (مُسْنِدِهِ) عَنْ قُتَيْبَةَ كَثِيرًا.



قَالَ الْمُزْنِيُّ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: رَأَيْتَ بَغْدَادَ شَابًّا، إِذَا
قَالَ: حَدَّثَنَا، قَالَ النَّاسُ كُلُّهُمْ: صَدَقَ.

قُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟

قَالَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

وَقَالَ حَرَمَلَةٌ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ،
فَمَا خَلَّفْتُ بِهَا رَجُلًا أَفْضَلَ، وَلَا أَعْلَمَ، وَلَا أَفْقَهَ، وَلَا أَتْقَى
مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، قَالَ: أَعَزَّ اللهُ الدِّينَ بِالصِّدِّيقِ يَوْمَ
الرِّدَّةِ، وَبِأَحْمَدَ يَوْمَ الْمِحْنَةِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: إِنِّي لَا تَدِينُ بِذِكْرِ أَحْمَدَ، مَا رَأَيْتُ رَجُلًا
أَعْلَمَ بِالسُّنَّةِ مِنْهُ.

وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ: أَرَادُوا أَنْ أَكُونَ مِثْلَ أَحْمَدَ، وَاللهِ لَا أَكُونُ
مِثْلَهُ أَبَدًا.



قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَأَلْتُ أَبِي عَنِ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ
وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، أَيُّهُمَا أَحْفَظُ؟

فَقَالَ: كَانَا فِي الْحِفْظِ مُتَقَارِبَيْنِ، وَكَانَ أَحْمَدُ أَفْقَهُ، إِذَا
رَأَيْتَ مَنْ يُحِبُّ أَحْمَدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَكْبَرُ مِنْ إِسْحَاقَ وَأَفْقَهُ،
مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْمَلَ مِنْ أَحْمَدَ.

وَقَالَ النَّسَائِيُّ: جَمَعَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ الْمَعْرِفَةَ بِالْحَدِيثِ
وَالْفِقْهَ وَالْوَرَعَ وَالزُّهْدَ وَالصَّبْرَ.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: كَانَتْ مَجَالِسُ أَحْمَدَ مَجَالِسَ الْآخِرَةِ، لَا
يُذَكَّرُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، مَا رَأَيْتُهُ ذَكَرَ الدُّنْيَا قَطُّ.

قَالَ ابْنُ سَلَمٍ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ نَصْرِ الْمَرْوَزِيَّ يَقُولُ:
صِرْتُ إِلَى دَارِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مَرَارًا، وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسَائِلَ،



فَقِيلَ لَهُ: أَكَانَ أَكْثَرَ حَدِيثًا أَمْ إِسْحَاقُ؟ قَالَ: بَلْ أَحْمَدُ أَكْثَرُ حَدِيثًا وَأَوْرَعُ، أَحْمَدُ فَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ.

قُلْتُ: كَانَ أَحْمَدُ عَظِيمَ الشَّانِ، رَأْسًا فِي الْحَدِيثِ وَفِي الْفِقْهِ، وَفِي التَّأَلُّهِ، أَتْنَى عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنْ خُصُومِهِ، فَمَا الظَّنُّ بِإِخْوَانِهِ وَأَقْرَانِهِ؟!

وَكَانَ مَهِيْبًا فِي ذَاتِ اللهِ، حَتَّى قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَا هَبْتُ أَحَدًا فِي مَسْأَلَةٍ، مَا هَبْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ.





فصل في فضله وتأله وشمائله

صالح بن أحمد: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي يَوْمًا أَيَّامَ الْوَأْتِيقِ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ عَلَى أَيِّ حَالٍ نَحْنُ - وَقَدْ خَرَجَ لِصَلَاةِ الْعَصْرِ، وَكَانَ لَهُ لِبَدٌ يَجْلِسُ عَلَيْهِ، قَدْ أَتَى عَلَيْهِ سِنُونَ كَثِيرَةٌ حَتَّى بَلِيَّ، وَإِذَا تَحْتَهُ كِتَابٌ كَاغَدٌ (أَيُّ قِرطَاسٍ) فِيهِ: بَلَّغْنِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الضَّيِّقِ، وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الدِّينِ، وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَمَا هِيَ مِنْ صَدَقَةٍ وَلَا زَكَاةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ وَرَثْتُهُ مِنْ أَبِي. فَقَرَأْتُ الْكِتَابَ، وَوَضَعْتُهُ، فَلَمَّا دَخَلَ، قُلْتُ: يَا أَبِي، مَا هَذَا الْكِتَابُ؟ فَاحْمَرَّ وَجْهَهُ، وَقَالَ: قَدْ رَفَعْتُهُ مِنْكَ.

ثم كتب إلى الرجل: وَصَلَ كِتَابُكَ إِلَيَّ، وَنَحْنُ فِي عَافِيَةٍ. فَأَمَّا الدِّينُ، فَإِنَّهُ لِرَجُلٍ لَا يُرْهَقُنَا، وَأَمَّا عِيَالُنَا، فَفِي نِعْمَةِ اللَّهِ. فَلَمَّا مَضَتْ سَنَةٌ أَوْ نَحْوُهَا، ذَكَرْنَاهَا، فَقَالَ: لَوْ كُنَّا قَبْلَنَاهَا، كَانَتْ قَدْ ذَهَبَتْ.



قال عبید القاري: دَخَلَ عَلَيَّ أَحْمَدَ عُمَهُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ
أَخِي، أَيُّشَ هَذَا النِّعَمُ؟ وَأَيُّشَ هَذَا الْحُزْنُ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ:
يَا عَمُّ، طُوبَى لِمَنْ أَحْمَلَ اللهُ ذِكْرَهُ.

قال صالح: رُبَّمَا رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ الْكِسْرَ، يَنْفُضُ الْغُبَارَ
عَنْهَا، وَيُصِيرُهَا فِي قِصْعَةٍ، وَيَصُبُّ عَلَيْهَا مَاءً، ثُمَّ يَأْكُلُهَا
بِالْمَلْحِ، وَكَانَ يَأْتِدُمُ بِالْخَلِّ كَثِيرًا.

ورُبَّمَا اعتلتُ فَيَأْخُذُ قَدْحًا فِيهِ مَاءً، فَيَقْرَأُ فِيهِ، ثُمَّ يَقُولُ:
اشْرَبْ مِنْهُ، وَاغْسِلْ وَجْهَكَ وَيَدَيْكَ.

وَكَانَ رُبَّمَا خَرَجَ إِلَى الْبَقَالِ، فَيَشْتَرِي الْحَطَبَ وَالشَّيْءَ،
فِيحْمَلُهُ بِيَدِهِ.

وَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

وقال المرؤذي: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: مَا أَكْثَرَ الدَّاعِي لَكَ!
فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يَكُونَ هَذَا اسْتِدْرَاجًا بِأَيِّ شَيْءٍ هَذَا؟



قَالَ المَرُودِيُّ: رَأَيْتُ طَبِيبًا نَصْرَانِيًّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ أَحْمَدَ
وَمَعَهُ رَاهِبٌ، فَقَالَ: إِنَّهُ سَأَلَنِي أَنْ يَجِيءَ مَعِيَ لِيَرَى أَبَا عَبْدِ
اللهِ.

وَأَدخَلْتُ نَصْرَانِيًّا عَلَيَّ أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَأَشْتَهِي
أَنْ أَرَاكَ مِنْذُ سِنِينَ، مَا بَقَاؤُكَ صَلاَحٌ لِلِإِسْلَامِ وَحَدَثُهُمْ، بَلْ
لِلْخَلْقِ جَمِيعًا، وَلَيْسَ مِنْ أَصْحَابِنَا أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ رَضِيَ بِكَ.
فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ يُدْعَى لَكَ فِي
جَمِيعِ الأَمْصَارِ.

فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ، فَمَا يَنْفَعُهُ كَلَامُ
النَّاسِ.





وَمِنْ آدَابِهِ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُهَا عَلَى فِيهِ يُقْبَلُهَا.

وَأَحْسِبُ أَنِّي رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَى عَيْنِهِ، وَيَغْمِسُهَا فِي الْمَاءِ وَيَشْرَبُهَا يَسْتَشْفِي بِهِ، وَرَأَيْتُهُ أَخَذَ قِصْعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَسَلَهَا، ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا^(١) وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتَشْفِي بِهِ، وَيَمْسُحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ: كَتَبَ إِلَيَّ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ - أَكْرَمَهُ اللهُ - مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

(١) التبرُّكُ بآثار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمر مشروع، فشعره ووضوؤه وآنيته وألبسته التي مسَّت جسده، كل ذلك مبارك، يُشرع التبرُّكُ به باتفاق العلماء، وهذا ما كان يفعله الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ. لكن ينبغي أن يُعلم أن تلك الآثار قد فُقدت بسبب بُعد العهد وطول الزمان، ولم يبق من ذلك شيء، والموجود في المتاحف اليوم إنما هي أشياء مدعاة، ليس عليها دليل.



وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الزُّهْرِيُّ: مَضَى عَمِّي إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ، وَثَبَ قَائِمًا وَأَكْرَمَهُ.

وَقَالَ الْمَرْوُذِيُّ: قَالَ لِي أَحْمَدُ: مَا كَتَبْتُ حَدِيثًا إِلَّا وَقَدْ عَمِلْتُ بِهِ، حَتَّى مَرَّ بِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَجَمَ، وَأَعْطَى أَبَا طَيْبَةَ دِينَارًا، فَأَعْطَيْتُ الْحَجَّامَ دِينَارًا حِينَ اخْتَجَمْتُ.

وَقَالَ حَنْبَلٌ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ، قَالَ لِحُجَلَسَائِهِ: إِذَا شِئْتُمْ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِذَا صَحَّ عِنْدَكُمْ الْحَدِيثُ، فَأَخْبِرُونَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْهِ، أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالْأَخْبَارِ الصَّحَّاحِ مِنَّا، فَإِذَا كَانَ خَيْرٌ صَحِيحٌ، فَأَعْلَمْنِي حَتَّى أَذْهَبَ إِلَيْهِ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَحْمَدَ، صَحْبَانَهُ خَمْسِينَ سَنَةً، مَا افْتَخَرَ عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ.



قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: كَانَ أَبِي يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ سُبْعًا، وَكَانَ يَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً بَعْدَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الصَّبَاحِ يُصَلِّي وَيَدْعُو.

قَالَ أَحْمَدُ الدَّورَقِيُّ: لَمَّا قَدِمَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ عِنْدِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، رَأَيْتُ بِهِ شُحُوبًا بِمَكَّةَ، وَقَدْ تَبَيَّنَ عَلَيْهِ النَّصَبُ وَالتَّعَبُ، فَكَلَّمْتُهُ، فَقَالَ: هَذَا هَيِّنٌ فِيمَا اسْتَفَدْنَا مِنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ.

قَالَ المَرُودِيُّ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِذَا ذَكَرَ المَوْتَ، خَنَقَتْهُ العَبْرَةُ. وَكَانَ يَقُولُ: إِذَا ذَكَرْتُ المَوْتَ، هَانَ عَلَيَّ كُلُّ أَمْرِ الدُّنْيَا، إِنَّمَا هُوَ طَعَامٌ دُونَ طَعَامٍ، وَلِبَاسٌ دُونَ لِبَاسٍ، وَإِنَّهَا أَيَّامٌ قَلَائِلٌ، مَا أَعْدِلُ بِالفَقْرِ شَيْئًا، وَلَوْ وَجَدْتُ السَّبِيلَ، لَخَرَجْتُ حَتَّى لَا يَكُونَ لِي ذِكْرٌ.

وَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ فِي شِعْبٍ بِمَكَّةَ حَتَّى لَا أَعْرِفَ، قَدْ بُلِيتُ بِالشُّهْرَةِ.



وَمِنْ سِيرَتِهِ

قَالَ الْخَلَّالُ: قُلْتُ لِزُهَيْرِ بْنِ صَالِحٍ (حفيد الإمام أحمد)
هَلْ رَأَيْتَ جَدَّكَ؟

قَالَ: نَعَمْ، مَاتَ وَأَنَا فِي عَشْرِ سِنِينَ، كُنَّا نَدْخُلُ إِلَيْهِ فِي
كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ أَنَا وَأَخَوَاتِي، وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ بَابٌ، وَكَانَ
يَكْتُبُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا حَبَّتَيْنِ حَبَّتَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ فِي رُقْعَةٍ إِلَى
فَامِيٍّ يُعَامِلُهُ.

وَرُبَّمَا مَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ قَاعِدٌ فِي الشَّمْسِ، وَظَهْرُهُ مَكْشُوفٌ،
فِيهِ أَثَرُ الضَّرْبِ بَيِّنٌ، وَكَانَ لِي أَخٌ أَصْغَرُ مِنِّي اسْمُهُ عَلِيُّ،
فَأَرَادَ أَبِي أَنْ يَخْتَنَهُ، فَاتَّخَذَ لَهُ طَعَامًا كَثِيرًا، وَدَعَا قَوْمًا.

فَوَجَّهَ إِلَيْهِ جَدِّي: بَلَّغْنِي مَا أَحَدَّثْتَهُ لِهَذَا، وَإِنَّكَ أَسْرَفْتَ،
فَأَبْدَأَ بِالْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ.



فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْغَدِ، حَضَرَ الْحَجَّامُ، وَحَضَرَ أَهْلُنَا، جَاءَ
جَدِّي حَتَّى جَلَسَ عِنْدَ الصَّبِيِّ، وَأَخْرَجَ صُرِيرَةً، فَدَفَعَهَا إِلَى
الْحَجَّامِ، وَقَامَ، فَنَظَرَ الْحَجَّامُ فِي الصُّرِيرَةِ، فَإِذَا دِرْهَمٌ وَاحِدٌ.
وَكُنَّا قَدْ رَفَعْنَا كَثِيرًا مِنَ الْفُرُشِ، وَكَانَ الصَّبِيُّ عَلَى
مَصْطَبَةٍ مُرْتَفِعَةٍ مِنَ الثِّيَابِ الْمُلَوَّنَةِ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ.

وَقَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ خُرَاسَانَ ابْنُ خَالَةِ جَدِّي، فَنَزَلَ عَلَى أَبِي،
فَدَخَلْتُ مَعَهُ إِلَى جَدِّي، فَجَاءَتِ الْجَارِيَةُ بِطَبَقٍ عَلَيْهِ خُبْزٌ
وَبَقْلٌ وَمِلْحٌ، وَبِغُضَارَةٍ فِيهَا لَحْمٌ وَصَلِقٌ^(١)، فَأَكَلْنَا مَعَنَا،
وَسَأَلَ ابْنَ خَالَتِهِ عَمَّنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَخْرَاسَانَ فِي خِلَالِ
الْأَكْلِ، فَرُبَّمَا اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ، فَيَكَلِّمُهُ جَدِّي بِالْفَارِسِيَّةِ،
وَيَضَعُ اللَّحْمَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَيْنَ يَدِي.

ثُمَّ أَخَذَ طَبَقًا إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ فِيهِ تَمْرًا وَجَوْزًا، وَجَعَلَ
يَأْكُلُ وَيُنَاوِلُ الرَّجُلَ.

(١) أي شواء كثير.



قَالَ الْمَيْمُونِيُّ: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْأَلُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الشَّيْءِ،
فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ.

وَعَنْ الْمَرْوُذِيِّ، قَالَ: لَمْ أَرَ الْفَقِيرَ فِي مَجْلِسٍ أَعَزَّ مِنْهُ فِي
مَجْلِسِ أَحْمَدَ، كَانَ مَائِلًا إِلَيْهِمْ، مُقْصِرًا عَنِ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَكَانَ
فِيهِ حِلْمٌ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْعَجُولِ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُعِ، تَعْلُوهُ
السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَإِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ لِلْفُتْيَا،
لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يُسْأَلَ، وَإِذَا خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِهِ، لَمْ يَتَصَدَّرْ.

وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَدِيدَ الْحَيَاءِ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ، يُعْجِبُهُ
السَّخَاءُ.

قَالَ هَارُونُ الْمُسْتَمَلِيُّ: لَقِيتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقُلْتُ: مَا
عِنْدَنَا شَيْءٌ. فَأَعْطَانِي خَمْسَةَ دَرَاهِمَ، وَقَالَ: مَا عِنْدَنَا غَيْرُهَا.

قَالَ حَمْدَانُ بْنُ عَلِيٍّ: لَمْ يَكُنْ لِبَاسُ أَحْمَدَ بَذَاكَ، إِلَّا أَنَّهُ
قَطْنٌ نَظِيفٌ.



وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ: رَأَيْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي الشِّتَاءِ
قَمِيصَيْنِ وَجُبَّةً مُلَوَّنَةً بَيْنَهُمَا، وَرُبَّمَا قَمِيصًا وَفَرَوًا ثَقِيلًا،
وَرَأَيْتُهُ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ فَوْقَ الْقَلَنْسُوَّةِ، وَكِسَاءً ثَقِيلًا.

فَسَمِعْتُ أَبَا عَمْرَانَ الْوَرْكَانِيَّ يَقُولُ لَهُ يَوْمًا: يَا أَبَا عَبْدِ
اللَّهِ، هَذَا اللَّبَاسُ كُلُّهُ؟ فَضَحِكَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا رَقِيقٌ فِي الْبَرْدِ!
وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، أَنَّ أَبَا بَكْرَ الْمَرْوُذِيَّ حَدَّثَهُمْ
فِي آدَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:

كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لَا يَجْهَلُ، وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ، حَلَمَ وَاحْتَمَلَ،
وَيَقُولُ: يَكْفِي اللهُ.

وَلَمْ يَكُنْ بِالْحَقُودِ وَلَا الْعَجُولِ، كَثِيرَ التَّوَاضُعِ، حَسَنَ
الْخُلُقِ، دَائِمَ الْبِشْرِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَكَانَ يُحِبُّ
فِي اللهِ، وَيُبْغِضُ فِي اللهِ، وَإِذَا كَانَ فِي أَمْرٍ مِنَ الدِّينِ، اشْتَدَّ لَهُ
غَضَبُهُ، وَكَانَ يَحْتَمِلُ الْأَذَى مِنَ الْجِيرَانِ.



وقال إبراهيم بن شماس: كُنْتُ أَعْرِفُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ
وَهُوَ غُلَامٌ، وَهُوَ يُحْيِي اللَّيْلَ.

وقال المرؤذي: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُومُ لَوْرِدِهِ قَرِيبًا مِنْ
نِصْفِ اللَّيْلِ حَتَّى يُقَارِبَ السَّحْرَ.

وقال عبد الله: رُبَّمَا سَمِعْتُ أَبِي فِي السَّحْرِ يَدْعُو
لِأَقْوَامٍ بِأَسْمَائِهِمْ، وَكَانَ يُكْثِرُ الدُّعَاءَ وَيُخْفِيهِ، وَيُصَلِّي بَيْنَ
العِشَاءَيْنِ، فَإِذَا صَلَّى عِشَاءَ الآخِرَةِ، رَكَعَ رَكَعَاتٍ صَالِحَةً،
ثُمَّ يُوْتِرُ، وَيَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي.

قال الميموني: قَالَ لِي الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ
إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ:

قَالَ لِي أَحْمَدُ: أَبُوكَ (يعني الإمام الشافعي) أَحَدُ السُّتَّةِ
الَّذِينَ أَدْعُو لَهُمْ سَحْرًا.



وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ لَيْنَةً، رُبَّمَا لَمْ أَفْهَمْ بَعْضَهَا، وَكَانَ يَصُومُ
وَيُدِمُّ، ثُمَّ يُفْطِرُ مَا شَاءَ اللهُ، وَلَا يَتْرِكُ صَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ
وَأَيَّامِ الْبَيْضِ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنَ الْعَسْكَرِ، أَدْمَنَ الصَّوْمَ إِلَى أَنْ
مَاتَ.

قال الأثرم: أَخْبَرْتُ أَنَّ الشَّافِعِيَّ قَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ (يعني
أحمد بن حنبل): إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَأَلَنِي أَنَّ أَلْتَمِسَ لَهُ
قَاضِيًا لِلْيَمَنِ، وَأَنْتَ تُحِبُّ الْخُرُوجَ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ، فَقَدْ
نَلْتَ حَاجَتَكَ، وَتَقْضِي بِالْحَقِّ.

فقال أحمد للشافعي: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْكَ
ثَانِيَةً، لَمْ تَرَنِ عِنْدَكَ.

قال مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ وَقَدْ قَالَ لَهُ
خُرَاسَانِيٌّ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَأَيْتُكَ.

قال: اقْعُدْ، أَيُّ شَيْءٍ ذَا؟ مَنْ أَنَا؟



وَعَنْ رَجُلٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَثَرَ الْغَمِّ فِي وَجْهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ،
وَقَدْ أَتَنَى عَلَيْهِ شَخْصٌ، وَقِيلَ لَهُ: جَزَاكَ اللهُ عَنِ الْإِسْلَامِ
خَيْرًا.

فَقَالَ: بَلْ جَزَى اللهُ الْإِسْلَامَ عَنِّي خَيْرًا، مَنْ أَنَا؟ وَمَا أَنَا؟!
وَقَالَ الْمَرْوُذِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ذَكَرَ أَخْلَاقَ
الْوَرَعِينَ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهُ أَنْ لَا يَمُقَّتَنَا، أَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَؤُلَاءِ؟!
وَكَانَ يُحِبُّ الْخُمُولَ وَالْأَنْزَوَاءَ عَنِ النَّاسِ، وَيَعُودُ الْمَرِيضَ،
وَكَانَ يَكْرَهُ الْمَشْيَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَيُؤَثِّرُ الْوَحْدَةَ.

قَالَ الْمَيْمُونِيُّ: قَالَ أَحْمَدُ: رَأَيْتُ الْخَلْوَةَ أَرْوَحَ لِقَلْبِي.
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِذَا
مَشَى فِي الطَّرِيقِ، يَكْرَهُ أَنْ يَتَّبِعَهُ أَحَدٌ.

قُلْتُ: إِيْثَارُ الْخُمُولِ وَالتَّوَاضُّعِ وَكَثْرَةُ الْوَجَلِ مِنْ عِلَامَاتِ
التَّقْوَى وَالْفَلَاحِ.



قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: كَانَ أَبِي إِذَا دَعَا لَهُ رَجُلٌ، يَقُولُ:
الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا.





المحنة

الصَّدْعُ بِالْحَقِّ عَظِيمٌ، يَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ وَإِخْلَاصٍ،
فَالْمُخْلِصُ بِلَا قُوَّةٍ يَعْجِزُ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ، وَالْقَوِيُّ بِلَا إِخْلَاصٍ
يُخْذَلُ، فَمَنْ قَامَ بِهِمَا كَامِلًا، فَهُوَ صَدِيقٌ، وَمَنْ ضَعْفَ، فَلَا
أَقْلَ مِنَ التَّأَلُّمِ وَالْإِنْكَارِ بِالْقَلْبِ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ إِيمَانٌ وَلَا
قُوَّةٌ إِلَّا بِاللَّهِ .

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَدِينُهُمْ قَائِمًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ
وَعُمَرَ .

فَلَمَّا اسْتُشْهِدَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَامَ رُؤُوسُ الشَّرِّ عَلَى الشَّهِيدِ
عُثْمَانَ حَتَّى ذُبِحَ صَبْرًا، وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ، وَتَمَّتْ وَقَعَةُ
الْجَمَلِ، ثُمَّ وَقَعَةُ صِفِّينَ .

فَظَهَرَتِ الْخَوَارِجُ، وَكَفَّرَتْ سَادَةُ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ ظَهَرَتِ
الرَّوَافِضُ وَالنَّوَاصِبُ .



وَفِي آخِرِ زَمَنِ الصَّحَابَةِ ظَهَرَتِ الْقَدْرِيَّةُ، ثُمَّ ظَهَرَتِ
الْمُعْتَزِلَةُ بِالْبَصْرَةِ، وَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمُجَسِّمَةُ بِخُرَّاسَانَ فِي أَثْنَاءِ
عَصْرِ التَّابِعِينَ مَعَ ظُهُورِ السُّنَّةِ وَأَهْلِهَا إِلَى بَعْدِ الْمائَتَيْنِ،
فَظَهَرَ الْمَأْمُونُ الْخَلِيفَةُ - وَكَانَ ذَكِيًّا مُتَكَلِّمًا، لَهُ نَظَرٌ فِي
الْمَعْقُولِ - فَاسْتَجَلَبَ كُتُبَ الْأَوَائِلِ، وَعَرَّبَ حِكْمَةَ الْيُونَانِ،
وَقَامَ فِي ذَلِكَ وَقَعْدًا، وَخَبَّ وَوَضَعَ، وَرَفَعَتِ الْجَهْمِيَّةُ
وَالْمُعْتَزِلَةُ رُؤُوسَهَا، بَلْ وَالشَّيْعَةُ، فَإِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ.

وَأَلَّ بِهِ الْحَالَ أَنْ حَمَلَ الْأُمَّةَ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ،
وَامْتَحَنَ الْعُلَمَاءَ، فَلَمْ يُمَهَلْ.

وَهَلَكَ لِعَامِهِ، وَخَلَّى بَعْدَهُ شَرًّا وَبَلَاءً فِي الدِّينِ، فَإِنَّ الْأُمَّةَ
مَا زَالَتْ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ، لَا
يَعْرِفُونَ غَيْرَ ذَلِكَ، حَتَّى نَبَغَ لَهُمُ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ،
وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةٌ تَشْرِيْفِيَّةٌ، كَبَيْتِ اللَّهِ، وَنَاقَةِ
اللَّهِ! فَأَنكَرَ الْعُلَمَاءُ ذَلِكَ.



وَلَمْ تَكُنْ الْجَهْمِيَّةُ يَظْهَرُونَ فِي دَوْلَةِ الْمَهْدِيِّ وَالرَّشِيدِ
وَالْأَمِينِ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمَأْمُونُ، كَانَ مِنْهُمْ، وَأَظْهَرَ الْمَقَالََةَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ: قَالَ هَارُونَ الرَّشِيدُ: بَلَّغْنِي أَنْ بَشَّرَ
بَنَ غِيَاثِ الْمَرِيْسِيِّ يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَلِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ
أَظْفَرَنِي بِهِ، لِأَقْتُلَنَّهُ.

قَالَ الدَّوْرَقِيُّ: وَكَانَ الْمَرِيْسِيُّ مُتَوَارِيًا أَيَّامَ الرَّشِيدِ، فَلَمَّا
مَاتَ الرَّشِيدُ، ظَهَرَ، وَدَعَا إِلَى الضَّلَاةِ.

قُلْتُ: ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ نَظَرَ فِي الْكَلَامِ، وَنَظَرَ، وَبَقِيَ
مُتَوَقِّفًا فِي الدُّعَاءِ إِلَى بَدْعَتِهِ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ: خَالَطَهُ قَوْمٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ،
فَحَسَّنُوا لَهُ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ وَيُرَاقِبُ بَقَايَا
الشُّيُوخِ، ثُمَّ قَوِيَ عَزْمُهُ، وَامْتَحَنَ النَّاسَ.

قَالَ ابْنُ أَكْثَمٍ: قَالَ لَنَا الْمَأْمُونُ: لَوْ لَا مَكَانُ يُزِيدُ بَنَ هَارُونَ،
لَأَظْهَرْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ.



فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ يَزِيدٌ حَتَّى يُتَّقَى؟
فَقَالَ: وَيُحَاك! إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَظْهَرْتَهُ أَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ، فَيُخْتَلِفُ
النَّاسُ، وَتَكُونُ فِتْنَةٌ، وَأَنَا أَكْرَهُ الْفِتْنَةَ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: فَأَنَا أَسْتُخْبِرُ ذَلِكَ مِنْهُ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: نَعَمْ.
فَخَرَجَ إِلَى وَاسِطَ، فَجَاءَ إِلَى يَزِيدَ، وَقَالَ: يَا أَبَا خَالِدٍ، إِنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَظْهَرَ
خَلْقَ الْقُرْآنِ.

فَقَالَ: كَذَبْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا
يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى مَا لَا يَعْرِفُونَهُ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَاقْعُدْ،
فَإِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَجْلِسِ، فَقُلْ.

قَالَ: فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْغَدُ، اجْتَمَعُوا، فَقَامَ، فَقَالَ كَمَا قَالَتْهُ.
فَقَالَ يَزِيدُ: كَذَبْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ لَا يَحْمِلُ النَّاسَ
عَلَى مَا لَا يَعْرِفُونَهُ وَمَا لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ.



قَالَ: فرجع الرجل إلى المأمون، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
كُنْتَ أَنْتَ أَعْلَمَ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْخَبْرَ.

قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: ثُمَّ امْتَحِنَ الْقَوْمَ، وَوَجَّهَ بِمَنْ امْتَنَعَ
إِلَى الْحَبْسِ، فَأَجَابَ الْقَوْمَ جَمِيعًا غَيْرَ أَرْبَعَةٍ: أَبِي، وَمُحَمَّدِ
بِ بْنِ نُوحٍ، وَالْقَوَارِيرِيِّ، وَالْحَسَنِ بْنِ حَمَّادٍ سَجَّادَةَ.

ثُمَّ أَجَابَ هَذَانِ، وَبَقِيَ أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ فِي الْحَبْسِ
أَيَّامًا، ثُمَّ جَاءَ كِتَابٌ مِنْ طَرْسُوسَ بِحَمَلِهِمَا مُقَيَّدَيْنِ زَمِيلَيْنِ.

وَقَالَ أَبُو مَعْمَرٍ الْقَطِيعِيُّ: لَمَّا أُحْضِرْنَا إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ
أَيَّامَ الْمِحْنَةِ، وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَدْ أُحْضِرَ، فَلَمَّا رَأَى
النَّاسَ يُجِئُونَ، وَكَانَ رَجُلًا لَيِّنًا، فَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ،
وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَذَهَبَ ذَلِكَ اللَّيْنُ.

فَقُلْتُ: أَبْشِرْ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
بِ بْنِ جُمَيْعٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ:



كَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ إِذَا أُرِيدَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ، رَأَيْتَ حَمَالِيْقَ عَيْنَيْهِ فِي رَأْسِهِ تَدُورُ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ.

قال ابن أبي أسامة: حُكِيَ لَنَا أَنَّ أَحْمَدَ قِيلَ لَهُ أَيَّامَ الْمِحْنَةِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَوْ لَا تَرَى الْحَقَّ كَيْفَ ظَهَرَ عَلَيْهِ الْبَاطِلُ؟ فَقَالَ: كَلَّا، إِنَّ ظُهُورَ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ أَنْ تَنْتَقِلَ الْقُلُوبُ مِنَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَاةِ، وَقُلُوبُنَا بَعْدُ لَازِمَةٌ لِلْحَقِّ.

قال أبو جعفر الأنباري: لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ إِلَى الْمَأْمُونِ، أُخْبِرْتُ، فَعَبَرْتُ الْفُرَاتَ، فَإِذَا أَحْمَدُ جَالِسٌ فِي الْحَانِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، تَعَنَيْتَ.

فقلتُ له: أَنْتَ الْيَوْمَ رَأْسٌ، وَالنَّاسُ يَقْتَدُونَ بِكَ، فَوَ اللَّهُ لَئِنْ أَجَبْتَ إِلَى خَلْقِ الْقُرْآنِ، لَيُجِيبَنَّ خَلْقٌ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُجِبْ، لَيَمْتَنَعَنَّ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الرَّجُلَ إِنْ لَمْ يَقْتُلْكَ فَإِنَّكَ تَمُوتُ، لِأَبَدٍ مِنَ الْمَوْتِ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُجِبْ.



فَجَعَلَ أَحْمَدُ يَبْكِي، وَيَقُولُ: مَا شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، أَعِدْ عَلَيَّ. فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

مَا شَاءَ اللهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنجِيُّ: جَعَلُوا يُذَاكِرُونَ أَبَا

عَبْدِ اللهِ (يعني الإمام أحمد) فِي التَّقِيَّةِ وَمَا رُوِيَ فِيهَا.

فَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِحَدِيثِ خَبَّابٍ: (إِنَّ مَنْ كَانَ

قَبْلَكُمْ كَانَ يُنْشَرُ أَحَدُهُمْ بِالْمِنْشَارِ، لَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ)

قَالَ: فَأَيْسَنَا مِنْهُ.

ثُمَّ قَالَ أَحْمَدُ: لَسْتُ أَبَالِي بِالْحَبْسِ، مَا هُوَ وَمَنْزِلِي إِلَّا

وَاحِدٌ، وَلَا قِتْلًا بِالسَّيْفِ، إِنَّمَا أَخَافُ فِتْنَةَ السَّوْطِ.

فَسَمِعَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحَبْسِ، فَقَالَ: لَا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ

اللهِ، فَمَا هُوَ إِلَّا سَوْطَانٍ، ثُمَّ لَا تَدْرِي أَيْنَ يَقَعُ الْبَاقِي! فَكَانَهُ

سُرِّي عَنْهُ.



قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: حُمِلَ أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ مِنْ
بَغْدَادَ مُقَيَّدَيْنِ، فَصِرْنَا مَعَهُمَا إِلَى الْأَنْبَارِ.

فَسَأَلَ أَبُو بَكْرٍ الْأَحْوَلُ أَبِي: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنْ عَرِضَتْ
عَلَى السَّيْفِ، تُجِيبُ؟ قَالَ: لَا.

ثُمَّ سِيرًا، فَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: صِرْنَا إِلَى الرَّحْبَةِ^(١) وَرَحَلْنَا
مِنْهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ،

فَعَرَضَ لَنَا رَجُلٌ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؟ فَقِيلَ لَهُ:
هَذَا. فَقَالَ لَهُ: يَا أَحْمَدُ، مَا عَلَيْكَ أَنْ تُقْتَلَ هَاهُنَا، وَتَدْخُلَ
الْجَنَّةَ؟ ثُمَّ قَالَ: أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ، وَمَضَى.

قال أحمد: فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ لِي: هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ
مِنْ رِبِيعَةَ يَعْمَلُ الشَّعْرَ فِي الْبَادِيَةِ، يُقَالُ لَهُ: جَابِرُ بْنُ عَامِرٍ،
يُذَكَّرُ بِخَيْرٍ.

(١) تقع الرحبة بين الرقة وبغداد.



قال إبراهيم بن عبد الله: قال أحمد بن حنبل: ما سمعتُ
كَلِمَةً مُنْذُ وَقَعْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَقْوَى مِنْ كَلِمَةِ أَعْرَابِيٍّ كَلَّمَنِي
بِهَا فِي رَحْبَةِ طَوْقٍ.

قال لي: يا أحمد، إن يقتلك الحقُّ مُتَّ شَهِيداً، وإن
عِشْتَ عِشْتَ حَمِيداً.

فقوى قلبي.

قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صرنا إلى أذنة^(١)
وَرَحَلْنَا مِنْهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَفُتِحَ لَنَا بَابُهَا، إِذَا رَجُلٌ قَدْ
دَخَلَ، فَقَالَ: الْبُشْرَى! قَدْ مَاتَ الرَّجُلُ، يَعْنِي: الْمَأْمُونُ.

قال أبي: وَكُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ أَنْ لَا أَرَاهُ، فَلَمْ أَرَهُ، مَاتَ
بِالْبَدْنَدُونِ.

قلتُ: وَالْبَدْنَدُونِ هُوَ نَهْرُ الرُّومِ.

(١) أذنة هي أضنة، المدينة التركية المعروفة.



وَبَقِيَ أَحْمَدُ مَحْبُوسًا بِالرَّقَّةِ حَتَّى بُوِيَعَ الْمُعْتَصِمُ إِثْرَ
مَوْتِ أَخِيهِ، فَرُدَّ أَحْمَدُ إِلَى بَغْدَادَ.

قَالَ صَالِحٌ: لَمَّا صَدَرَ أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ إِلَى طَرَسُوسَ،
رُدَّا فِي أَقْيَادِهِمَا.

فَلَمَّا صَارَ إِلَى الرَّقَّةِ، حُمِلَا فِي سَفِينَةٍ، فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى
عَانَةَ تُوِّفِيَ مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ، وَفُكَّ قَيْدُهُ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبِي.

وَقَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (أحمد بن حنبل): مَا رَأَيْتُ
أَحَدًا عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ، أَقْوَمَ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ، إِنِّي
لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ.

قَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، اللَّهُ، اللَّهُ، إِنَّكَ لَسْتَ مِثْلِي،
أَنْتَ رَجُلٌ يُقْتَدَى بِكَ.

قَدْ مَدَّ الْخَلْقُ أَعْنَاقَهُمْ إِلَيْكَ، لِمَا يَكُونُ مِنْكَ، فَاتَّقِ اللَّهَ،
وَاثْبُتْ لِأَمْرِ اللَّهِ، أَوْ نَحْوِ هَذَا.

فَمَاتَ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَدَفَنْتُهُ.



قَالَ صَالِحٌ: وَصَارَ أَبِي إِلَى بَغْدَادَ مُقَيَّدًا، فَمَكَثَ بِالْيَاسِرِيَّةِ أَيَّامًا، ثُمَّ حُبِسَ فِي دَارٍ اكْتُرِيَتْ عِنْدَ دَارِ عُمَارَةَ، ثُمَّ حُوِّلَ إِلَى حَبْسِ الْعَامَّةِ فِي دَرَبِ الْمَوْصِلِيَّةِ.

قَالَ أَحْمَدُ: كُنْتُ أَصْلِي بِأَهْلِ السَّجَنِ، وَأَنَا مُقَيَّدٌ. فَلَمَّا كَانَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعَ عَشَرَ - قُلْتُ: وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ الْمَأْمُونِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ شَهْرًا - حُوِّلْتُ إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، يَعْنِي: نَائِبَ بَغْدَادَ.

وَأَمَّا حَنْبَلٌ، فَقَالَ: حُبِسَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي دَارِ عُمَارَةَ بِبَغْدَادَ، فِي إِصْطَبْلِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ؛ أَخِي إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ فِي حَبْسِ ضَيْقٍ، وَمَرَضَ فِي رَمَضَانَ.

ثُمَّ حُوِّلَ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى سَجَنِ الْعَامَّةِ، فَمَكَثَ فِي السَّجَنِ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ شَهْرًا.

وَكُنَّا نَأْتِيهِ، فَقَرَأَ عَلَيَّ كِتَابَ (الْإِزْجَاءِ) وَغَيْرَهُ فِي الْحَبْسِ، وَرَأَيْتُهُ يُصَلِّي بِهِمْ فِي الْقَيْدِ.



قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَبِي: كَانَ يُوجَّهُ إِلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ بَرَجَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا يُقَالُ لَهُ: أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رَبَاحٍ، وَالْآخَرُ أَبُو شُعَيْبِ الْحَجَّامِ، فَلَا يَزَالُ الْآنَ يُنَاطِرَانِي، حَتَّى إِذَا قَامَا دُعِيَ بِقَيْدٍ، فَزِيدَ فِي قُيُودِي، فَصَارَ فِي رِجْلِي أَرْبَعَةُ أَقْيَادٍ.

قَالَ: فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ الْبُسْتَانِ، أُخْرِجْتُ، وَجِيءَ بِدَابَّةٍ، فَأُرْكَبْتُ وَعَلَيَّ الْأَقْيَادُ، مَا مَعِيَ مَنْ يُمَسِكُنِي، فَكِدْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنْ أَخْرَجَ عَلَيَّ وَجْهِي لِثِقَلِ الْقُيُودِ.

فَجِيءَ بِي إِلَى دَارِ الْمُعْتَصِمِ، فَأَدْخَلْتُ حُجْرَةً، ثُمَّ أُدْخِلْتُ بَيْتًا، وَأَقْفَلَ الْبَابَ عَلَيَّ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَلَا سَرَّاجَ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، أُخْرِجْتُ تَكْتِي، وَشَدَدْتُ بِهَا الْأَقْيَادَ أَحْمِلُهَا، وَعَظَفْتُ سَرَائِيلِي.

فَجَاءَ رَسُولُ الْمُعْتَصِمِ، فَقَالَ: أَجِبْ.

فَأَخَذَ بِيَدِي، وَأَدْخَلَنِي عَلَيْهِ، وَأَنَا أَحْمِلُ الْأَقْيَادَ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ حَاضِرٌ، وَقَدْ جَمَعَ خَلْقًا كَثِيرًا



مِنْ أَصْحَابِهِ.

فَقَالَ لِي الْمُعْتَصِمُ: ادْنُهُ، ادْنُهُ. فَلَمْ يَزَلْ يُدْنِينِي حَتَّى قَرَبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: اجْلِسْ.

فَجَلَسْتُ، وَقَدْ أَثْقَلْتَنِي الْأَقْيَادُ، فَمَكَثْتُ قَلِيلًا، ثُمَّ قُلْتُ: أَتَأْذَنُ فِي الْكَلَامِ؟ قَالَ: تَكَلَّمْ.

فَقُلْتُ: إِلَى مَا دَعَا اللهُ وَرَسُولُهُ؟ فَسَكَتَ هُنَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

فَقُلْتُ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ جَدَّكَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَمَّا قَدِمَ وَفَدَّ عَبْدَ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوهُ عَنِ الْإِيْمَانِ، فَقَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْإِيْمَانُ؟). قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: (شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيْتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ).



فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ: لَوْلَا أَنِّي وَجَدْتُكَ فِي يَدِ مَنْ كَانَ قَبْلِي،
مَا عَرَضْتُ لَكَ.

ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، أَلَمْ أَمُرْكَ بِرَفْعِ الْمِحْنَةِ؟
فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّ فِي هَذَا لَفَرَجًا لِلْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: نَاطِرُوهُ، وَكَلِّمُوهُ، يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَلِّمَهُ.

فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟

قُلْتُ: مَا تَقُولُ أَنْتَ فِي عِلْمِ اللهِ؟

فَسَكَتَ، فَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ: أَلَيْسَ قَالَ اللهُ - تَعَالَى -: ﴿اللهُ
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وَالْقُرْآنُ أَلَيْسَ شَيْئًا؟

فَقُلْتُ: قَالَ اللهُ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فَهَلْ دَمَّرْتُ إِلَّا مَا أَرَادَ اللهُ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾
أَفَيَكُونُ مُحَدَّثٌ إِلَّا مَخْلُوقًا؟



فَقُلْتُ: قَالَ اللهُ: ﴿صَّ وَالْقُرَّانِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١) فَالذِّكْرُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَتِلْكَ لَيْسَ فِيهَا أَلْفٌ وَلَا مِ.

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ حَدِيثَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الذِّكْرَ)، فَقُلْتُ: هَذَا خَطَأٌ، حَدَّثَنَا غَيْرٌ وَاحِدٍ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الذِّكْرَ).

وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ أَعْظَمَ مِنْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ). فَقُلْتُ: إِنَّمَا وَقَعَ الْخَلْقُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَى الْقُرْآنِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَدِيثُ خَبَّابٍ: (يَا هَتَّاهُ، تَقَرَّبْ إِلَى اللهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ). فَقُلْتُ: هَكَذَا هُوَ.

قَالَ صَالِحٌ: وَجَعَلَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ يُنْظَرُ إِلَى أَبِي كَالْمُغْضَبِ.



قَالَ أَبِي: وَكَانَ يَتَكَلَّمُ هَذَا، فَأَرَدُ عَلَيْهِ، وَيَتَكَلَّمُ هَذَا، فَأَرَدُ عَلَيْهِ، فَإِذَا انْقَطَعَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ، اعترضَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ، فَيَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ - وَاللَّهِ - ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ! فَيَقُولُ: كَلِّمُوهُ، نَاظِرُوهُ.

فِيكَلِّمُنِي هَذَا، فَأَرَدُ عَلَيْهِ، وَيَكَلِّمُنِي هَذَا، فَأَرَدُ عَلَيْهِ، فَإِذَا انْقَطَعُوا، يَقُولُ الْمُعْتَصِمُ: وَيَحَاكَ يَا أَحْمَدُ! مَا تَقُولُ؟ فَأَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَقُولَ بِهِ.

قَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: لَقَدْ احْتَجُّوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ مَا يَقْوَى قَلْبِي، وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي أَنْ أَحْكِيَهُ.

أَنْكُرُوا الْآثَارَ، وَمَا ظَنَنْتُهُمْ عَلَى هَذَا حَتَّى سَمِعْتُهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنَجِيُّ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا: أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادَ أَقْبَلَ عَلَيَّ أَحْمَدَ يُكَلِّمُهُ،



فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، حَتَّى قَالَ الْمُعْتَصِمُ: يَا أَحْمَدُ، أَلَا تَكَلِّمُ أَبَا
عَبْدِ اللَّهِ؟

فَقُلْتُ: لَسْتُ أَعْرِفُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَأُكَلِّمُهُ!

قَالَ صَالِحٌ: وَجَعَلَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَاللَّهِ لَئِنْ أَجَابَكَ، لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمِائَةِ أَلْفِ
دِينَارٍ، فَيَعُدُّ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَعُدَّ.

فَقَالَ: لَئِنْ أَجَابَنِي لِأُطْلِقَنَّ عَنْهُ بِيَدِي، وَلَا زَكَبَنَّ إِلَيْهِ
بِجُنْدِي، وَلَا طَائِفًا عَقِبَهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ، وَاللَّهِ إِنِّي عَلَيْكَ لَشَفِيقٌ، وَإِنِّي لِأَشْفِقُ
عَلَيْكَ كَشَفَقَتِي عَلَى ابْنِي هَارُونَ، مَا تَقُولُ؟ فَأَقُولُ: أَعْطُونِي
شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

فَلَمَّا طَالَ الْمَجْلِسُ، ضَجَرَ، وَقَالَ: قُومُوا، وَحَبَسَنِي عِنْدَهُ
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ يُكَلِّمُنِي، وَقَالَ: وَيْحَكَ! أَجِبْنِي.



فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْرِفُهُ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، يَرَى طَاعَتَكَ وَالْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَعَكَ.

فَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَالِمٌ، وَإِنَّهُ لَفَقِيهٌ، وَمَا يَسُوءُنِي أَنْ يَكُونَ مَعِيَ يَرُدُّ عَنِّي أَهْلَ الْمَلَلِ.

ثُمَّ قَالَ: مَا كُنْتَ تَعْرِفُ صَالِحًا الرَّشِيدِيَّ؟

قُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهِ. قَالَ: كَانَ مُؤَدِّبِي، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ جَالِسًا - وَأَشَارَ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الدَّارِ - فَسَأَلَنِي عَنِ الْقُرْآنِ، فَخَالَفَنِي، فَأَمَرْتُ بِهِ، فُوطِيَّ وَسُحِبَ! يَا أَحْمَدُ، أَجِبْنِي إِلَى شَيْءٍ لَكَ فِيهِ أَدْنَى فَرَجٍ حَتَّى أُطْلِقَ عَنْكَ بِيَدِي.

قُلْتُ: أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

فَطَالَ الْمَجْلِسُ، وَقَامَ، وَرُدِدْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَجَّهَ إِلَيَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ، يَبْتَانِ عِنْدِي وَيُنَظِرَانِي وَيُقِيمَانِ مَعِيَ، حَتَّى



إِذَا كَانَ وَقْتُ الْإِفْطَارِ، جِيءَ بِالطَّعَامِ، وَيَجْتَهِدَانِ بِي أَنْ أَفْطِرَ
فَلَا أَفْعَلُ. قُلْتُ: وَكَانَتْ لِيَالِي رَمَضَانَ.

قَالَ: وَوَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ إِلَيَّ ابْنَ أَبِي دُوَادَ فِي اللَّيْلِ، فَقَالَ: يَقُولُ
لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: مَا تَقُولُ؟ فَأَرَدْتُ عَلَيْهِ نَحْوًا مِمَّا كُنْتُ أَرُدُّ.

فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ حَلَفَ أَنْ
يَضْرِبَكَ ضَرْبًا بَعْدَ ضَرْبٍ، وَأَنْ يُلْقِيكَ فِي مَوْضِعٍ لَا تَرَى
فِيهِ الشَّمْسَ.

وَيَقُولُ: إِنَّ أَجَابِنِي، جِئْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أُطْلِقَ عَنْهُ بِيَدِي، ثُمَّ
انصَرَفَ.

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا جَاءَ رَسُولُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي حَتَّى ذَهَبَ بِي
إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: نَاطِرُوهُ، وَكَلِّمُوهُ.

فَجَعَلُوا يَنَاطِرُونِي، فَأَرَدْتُ عَلَيْهِمُ، قَالَ: فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ
إِلَى قُرْبِ الزَّوَالِ. فَلَمَّا ضَجَرَ، قَالَ: قَوْمُوا.



ثُمَّ خَلَابِي، وَبَعْبِدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُنِي،
ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ، وَرُدِدْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّلَاثَةَ، قُلْتُ: خَلِيقٌ أَنْ يَحْدُثَ غَدًا
مِنْ أَمْرِي شَيْءٌ، فَقُلْتُ لِلْمَوَكَّلِ بِي: أُرِيدُ خَيْطًا. فَجَاءَنِي
بَخِيطٍ، فَشَدَدْتُ بِهِ الْأَقْيَادَ، وَرَدِدْتُ التَّكَّةَ إِلَى سَرَائِيلِي
مَخَافَةَ أَنْ يَحْدُثَ مِنْ أَمْرِي شَيْءٌ، فَأَتَعَّرَى.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، أُدْخِلْتُ إِلَى الدَّارِ، فَإِذَا هِيَ غَاصَّةٌ،
فَجَعَلْتُ أُدْخِلُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السُّيُوفُ،
وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السَّيَاطُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَلَمْ يَكُنْ فِي الْيَوْمِ مِنَ الْمَاضِيينَ كَبِيرٌ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ،
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: اقْعُدْ.

ثُمَّ قَالَ: نَاطِرُوهُ، كَلِّمُوهُ.

فَجَعَلُوا يُنَاطِرُونِي، يَتَكَلَّمُ هَذَا، فَأَرُدُّ عَلَيْهِ، وَيَتَكَلَّمُ هَذَا،
فَأَرُدُّ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ صَوْتِي يعلو أصواتهم.



فَجَعَلَ بَعْضُ مَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي يَوْمِي إِلَى بِيَدِهِ، فَلَمَّا طَالَ الْمَجْلِسُ، نَحَّانِي، ثُمَّ خَلَا بِهِمْ، ثُمَّ نَحَّاهُمْ، وَرَدَّنِي إِلَى عِنْدِهِ، وَقَالَ: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ! أَجْبَنِي حَتَّى أُطْلِقَ عَنْكَ بِيَدِي. فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ نَحْوَ رَدِّي، فَقَالَ: خُذُوهُ، اسْحَبُوهُ، خَلِّعُوهُ. فَسُحِبْتُ، وَخُلِعْتُ.

قَالَ: وَجَلَسَ الْمُعْتَصِمُ عَلَى كُرْسِيِّ، ثُمَّ قَالَ: الْعُقَابَيْنِ وَالسَّيَاطُ. فَجِيءَ بِالْعُقَابَيْنِ، فَمَدَّتْ يَدَايَ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ خَلْفِي: خُذْ نَاتِيَّ الْخَشْبَتَيْنِ بِيَدَيْكَ، وَشُدَّ عَلَيْهِمَا. فَلَمْ أَفْهَمْ مَا قَالَ، فَتَخَلَّعْتُ يَدَايَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنَجِيِّ: ذَكَرُوا أَنَّ الْمُعْتَصِمَ أَلَانَ فِي أَمْرِ أَحْمَدَ لَمَّا عَلَّقَ فِي الْعُقَابَيْنِ، وَرَأَى ثَبَاتَهُ وَتَصْمِيمَهُ وَصَلَابَتَهُ، حَتَّى أَغْرَاهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ تَرَكْتَهُ، قِيلَ: قَدْ تَرَكَ مَذْهَبَ الْمَأْمُونِ، وَسَخَطَ قَوْلَهُ. فَهَاجَهُ ذَلِكَ عَلَى ضَرْبِهِ.



ثُمَّ قَالَ لِلْجَلَادِينَ: تَقَدَّمُوا. فَجَعَلَ يَتَقَدَّمُ إِلَيَّ الرَّجُلُ مِنْهُمْ، فَيَضْرِبُنِي سَوْطِينَ، فَيَقُولُ لَهُ: شُدَّ، قَطَعَ اللهُ يَدَكَ! ثُمَّ يَتَنَحَّى وَيَتَقَدَّمُ آخَرُ، فَيَضْرِبُنِي سَوْطِينَ، وَهُوَ يَقُولُ فِي كُلِّ ذَلِكَ: شُدَّ، قَطَعَ اللهُ يَدَكَ! فَلَمَّا ضُرِبْتُ سَبْعَةَ عَشَرَ سَوْطًا، قَامَ إِلَيَّ -يَعْنِي: الْمُعْتَصِمُ- فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، عَلَامَ تَقْتُلُ نَفْسَكَ؟ إِنِّي -وَاللَّهِ- عَلَيْكَ لَشَفِيقٌ.

وَجَعَلَ عُجَيْفٌ يَنْخَسِنِي بِقَائِمَةِ سَيْفِهِ، وَقَالَ: أَتُرِيدُ أَنْ تَغْلِبَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ؟

وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: وَيَلِكُ! إِمَامُكَ عَلَى رَأْسِكَ قَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، دَمُهُ فِي عُنُقِي، اقْتُلْهُ. وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ صَائِمٌ، وَأَنْتَ فِي الشَّمْسِ قَائِمٌ!

فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ، مَا تَقُولُ؟



فَأَقُولُ: أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ
أَقُولُ بِهِ.

فَرَجَعَ، وَجَلَسَ، وَقَالَ لِلْجَلَادِ: تَقَدَّمْ، وَأَوْجِعْ، قَطَعَ اللهُ يَدَكَ.
ثُمَّ قَامَ الثَّانِيَةَ، وَجَعَلَ يَقُولُ: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ! أَجِيبْنِي.
فَجَعَلُوا يُقْبَلُونَ عَلَيَّ، وَيَقُولُونَ: يَا أَحْمَدُ، إِمَامُكَ عَلَى
رَأْسِكَ قَائِمٌ!

وَجَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: مَنْ صَنَعَ مِنْ أَصْحَابِكَ فِي
هَذَا الْأَمْرِ مَا تَصْنَعُ؟

وَالْمُعْتَصِمُ يَقُولُ: أَجِيبْنِي إِلَى شَيْءٍ لَكَ فِيهِ أَدْنَى فَرْجٍ
حَتَّى أَطْلِقَ عَنْكَ بِيَدِي. ثُمَّ رَجَعَ، وَقَالَ لِلْجَلَادِ: تَقَدَّمْ. فَجَعَلَ
يَضْرِبُنِي سَوَاطِينِ، وَيَتَنَحَّى، وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَقُولُ: شُدَّ،
قَطَعَ اللهُ يَدَكَ. فَذَهَبَ عَقْلِي، ثُمَّ أَفْقَتُ بَعْدُ، فَإِذَا الْأَقْيَادُ قَدْ
أَطْلَقَتْ عَنِّي.



فَقَالَ لِي رَجُلٌ مِمَّنْ حَضَرَ: كَبَيْتَكَ عَلَيَّ وَجِهَكَ، وَطَرَحْنَا
عَلَى ظَهْرِكَ بَارِيَّةً^(١) وَدُسْنَاكَ!

ثُمَّ جِيءَ بِي إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَحَضَرْتُ
الظَّهْرَ، فَتَقَدَّمَ ابْنُ سَمَاعَةَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْقَلَبَ مِنْ صَلَاتِهِ،
وَقَالَ لِي: صَلَّيْتَ، وَالِدَمُّ يَسِيلُ فِي ثَوْبِكَ؟

قُلْتُ: قَدْ صَلَّيْتُ عُمُرًا وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا. قَالَ صَالِحٌ: ثُمَّ
خُلِّيَ عَنْهُ، فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

قَالَ صَالِحٌ: وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ حَضَرَهُ: أَنَّهُ تَفَقَّده فِي الْإِيَّامِ
الثَّلَاثَةِ وَهُمْ يُنَاطِرُونَهُ، فَمَا لَحَنَ فِي كَلِمَةٍ. قَالَ: وَمَا ظَنَنْتُ
أَنَّ أَحَدًا يَكُونُ فِي مِثْلِ شَجَاعَتِهِ وَشِدَّةِ قَلْبِهِ.

قَالَ حَنْبَلٌ^{٢٦}: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: ذَهَبَ عَقْلِي
مِرَارًا، فَكَانَ إِذَا رُفِعَ عَنِّي الضَّرْبُ، رَجَعْتُ إِلَيَّ نَفْسِي، وَإِذَا
اسْتَرَحَيْتُ وَسَقَطْتُ، رُفِعَ الضَّرْبُ، أَصَابَنِي ذَلِكَ مِرَارًا.

(١) يعني حصيراً.



وَرَأَيْتُهُ - يَعْنِي: الْمُعْتَصِمَ - قَاعِدًا فِي الشَّمْسِ بِغَيْرِ مِظَلَّةٍ،
فَسَمِعْتُهُ - وَقَدْ أَفْقَتْ - يَقُولُ لِابْنِ أَبِي دُوَادَ: لَقَدْ ارْتَكَبْتُ
إِثْمًا فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ - وَاللَّهِ - كَافِرٌ مُشْرِكٌ. فَلَا يَزَالُ
بِهِ حَتَّى يَصْرِفَهُ عَمَّا يُرِيدُ.

وَقَدْ كَانَ أَرَادَ تَخْلِيَّتِي بِلَا ضَرْبٍ، فَلَمْ يَدَعُهُ، وَلَا إِسْحَاقَ
بْنِ إِبْرَاهِيمَ.

قَالَ حَنْبَلٌ: وَبَلَغَنِي أَنَّ الْمُعْتَصِمَ قَالَ لِابْنِ أَبِي دُوَادَ بَعْدَ
مَا ضُرِبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: كَمْ ضُرِبَ؟

قَالَ: أَرْبَعَةً، أَوْ نِيْفًا وَثَلَاثِينَ سَوَاطًا.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ
الْأَسَدِيُّ، قَالَ: لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ لِيُضْرَبَ، جَاؤُوا إِلَى بَشْرِ بْنِ
الْحَارِثِ (الْحَافِي) وَقَالُوا: قَدْ وَجِبَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ.



فَقَالَ: أَتُرِيدُونَ مِنِّي أَقُومَ مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ، لَيْسَ ذَا عِنْدِي،
حَفِظَ اللهُ أَحْمَدَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ.

قَالَ صَالِحٌ: فُخِّلِي عَنْهُ، فَصَارَ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَوُجِّهَ إِلَى
الْمَطْبَقِ، فَجِيءَ بِرَجُلٍ مِمَّنْ يَبْصُرُ الضَّرْبَ وَالْعِلَاجَ، فَنَظَرَ
إِلَى ضَرْبِهِ، فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ مَنْ ضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ، مَا رَأَيْتُ
ضَرْبًا مِثْلَ هَذَا، لَقَدْ جَرَّ عَلَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ، وَمِنْ قُدَّامِهِ، ثُمَّ أَخَذَ
مِيلاً، فَأَدْخَلَهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْجَرَاحَاتِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ:
لَمْ يُنْقَبْ؟ وَجَعَلَ يَأْتِيهِ، وَيَعَالِجُهُ.

**وَكَانَ قَدْ أَصَابَ وَجْهَهُ غَيْرُ ضَرْبَةٍ، وَمَكَثَ مُنْكَبًا عَلَى
وَجْهِهِ كَمَا شَاءَ اللهُ.**

ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا شَيْئًا أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَهُ. فَجَاءَ بِحَدِيدَةٍ،
فَجَعَلَ يُعَلِّقُ اللَّحْمَ بِهَا، فَيَقْطَعُهُ بِسِكِّينٍ مَعَهُ، وَهُوَ صَابِرٌ
لِلذِّكِّ، يَجْهَرُ بِحَمْدِ اللهِ فِي ذَلِكَ، فَبَرَأَ مِنْهُ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَوَجَّعُ
مِنْ مَوَاضِعَ مِنْهُ، وَكَانَ أَثَرُ الضَّرْبِ بَيْنًا فِي ظَهْرِهِ إِلَى أَنْ تُوَفِّيَ.



قال صالح: ودخلتُ يوماً، فقلتُ له: بلغني أن رجلاً
جاء إليك، فقال: اجعلني في حلٍّ؛ إذ لم أقمُ بنصرتك.
فقلتُ: لا أجعلُ أحداً في حلٍّ. فتبسّمَ أبي، وسكتَ،
وسمعتُ أبي يقولُ: لقد جعلتُ الميتَ في حلٍّ من ضربه
إيَّاي.

ثم قال: مررتُ بهذه الآية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى
اللهِ﴾ فنظرتُ في تفسيرها، فإذا هو ما أخبرنا هاشمُ بنُ
القاسمِ، أخبرنا المباركُ بنُ فضالة، قال: أخبرني من سمعَ
الحسنَ يقولُ: إذا كان يومُ القيامةِ، جثتِ الأممُ كلها بينَ
يَدَيِ اللهِ ربِّ العالمينَ، ثم نُودي أن لا يقومَ إلا من أجره
على اللهِ، فلا يقومُ إلا من عفا في الدنيا.

قال: فجعلتُ الميتَ في حلٍّ. ثم قال: وما على رجلٍ أن
لا يُعذَّبَ اللهُ بسببه أحداً.



وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ: بَلَغَنِي أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ جَعَلَ الْمُعْتَصِمَ فِي حِلٍّ فِي فَتْحِ عَمُورِيَّةَ، فَقَالَ: هُوَ فِي حِلٍّ مِنْ ضَرْبِي.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ: دَعَا الْمُعْتَصِمُ بِعَمِّ أَحْمَدَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: تَعْرِفُونَهُ؟

قَالُوا: نَعَمْ، هُوَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

قَالَ: فَانظُرُوا إِلَيْهِ، أَلَيْسَ هُوَ صَحِيحَ الْبَدَنِ؟

قَالُوا: نَعَمْ، وَلَوْ لَا أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ، لَكُنْتُ أَخَافُ أَنْ يَقَعَ شَيْءٌ لَا يُقَامُ لَهُ.

قَالَ: وَلَمَّا قَالَ: قَدْ سَلَّمْتُهُ إِلَيْكُمْ صَحِيحَ الْبَدَنِ، هَدَأَ النَّاسُ وَسَكَنُوا.

قُلْتُ: مَا قَالَ هَذَا مَعَ تَمَكُّنِهِ فِي الْخِلَافَةِ وَشَجَاعَتِهِ إِلَّا عَنْ أَمْرٍ كَبِيرٍ، كَأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَمُوتَ مِنَ الضَّرْبِ، فَتَخْرُجَ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ. وَلَوْ خَرَجَ عَلَيْهِ عَامَّةُ بَغْدَادَ، لَرُبَّمَا عَجَزَ عَنْهُمْ.



وَقَالَ حَنْبَلٌ: لَمَّا أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بِتَخْلِيَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، خَلَعَ عَلَيْهِ مُبَطَّنَةً وَقَمِيصًا، وَطَيْلَسَانًا وَقَلَنْسُوَّةً وَخُفًّا. فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَالنَّاسُ فِي الْمَيْدَانِ وَالدُّرُوبِ وَغَيْرِهَا، وَغُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ، إِذْ خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى دَابَّةٍ مِنْ دَارِ الْمُعْتَصِمِ فِي تِلْكَ الشِّيَابِ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ عَنْ يَمِينِهِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - يَعْنِي: نَائِبَ بَغْدَادَ - عَنْ يَسَارِهِ. فَلَمَّا صَارَ فِي الدَّهْلِيْزِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ، قَالَ لَهُمْ ابْنُ أَبِي دُوَادَ: اكشِفُوا رَأْسَهُ.

فَكَشَفُوهُ - يَعْنِي: مِنَ الطَّيْلَسَانِ - وَذَهَبُوا يَأْخُذُونَ بِهِ نَاحِيَةَ الْمَيْدَانِ نَحْوَ طَرِيقِ الْحَبْسِ، فَقَالَ لَهُمْ إِسْحَاقُ: خُذُوا بِهِ هَاهُنَا - يُرِيدُ دِجْلَةَ - فَذَهَبَ بِهِ إِلَى الزُّورِقِ، وَحُمِلَ إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ صُلِّيَتِ الظُّهُرُ، وَبَعَثَ إِلَى وَالِدِي وَإِلَى جِيرَانِنَا وَمَشَايِخِ الْمَحَالِّ، فَجُمِعُوا، وَأُدْخِلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِنْ كَانَ فِيكُمْ مَنْ يَعْرِفُهُ، وَإِلَّا فَلْيَعْرِفْهُ.



قَالَ ابْنُ سَمَاعَةَ - حِينَ دَخَلَ الْجَمَاعَةَ - لَهُمْ: هَذَا أَحْمَدُ

بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَازَرَهُ فِي أَمْرِهِ، وَقَدْ خَلَى سَبِيلَهُ، وَهَا هُوَ ذَا، فَأُخْرِجَ عَلَى فَرَسٍ لِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَمَعَهُ السُّلْطَانُ وَالنَّاسُ، وَهُوَ مُنْحَنٍ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْزِلَ، احْتَضَتْهُ، وَلَمْ أَعْلَمْ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى مَوْضِعِ الضَّرْبِ، فَصَاحَ، فَنَحَيْتُ يَدِي، فَنَزَلَ مُتَوَكِّئًا عَلَيَّ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ، وَدَخَلْنَا مَعَهُ، وَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَيَّ وَجْهَهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَحَرَّكَ إِلَّا بِجَهْدٍ، وَنَزَعَ مَا كَانَ خُلِعَ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ بِهِ، فَبِيعَ، وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهِ.

وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ أَمْرَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنْ لَا يَقْطَعَ عَنْهُ خَبْرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَرَكَ فِيمَا حُكِيَ لَنَا عِنْدَ الْإِيَّاسِ مِنْهُ.

وَبَلَّغْنَا: أَنَّ الْمُعْتَصِمَ نَدِمَ، وَأَسْقَطَ فِي يَدِهِ، حَتَّى صَلَحَ، فَكَانَ صَاحِبُ خَبَرِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ يَأْتِينَا كُلَّ يَوْمٍ يَتَعَرَّفُ خَبْرَهُ، حَتَّى صَحَّ، وَبَقِيَتْ إِبْهَامَاهُ مُنْخَلَعَتَيْنِ، يَضْرِبَانِ عَلَيْهِ



فِي الْبَرْدِ، فَيَسْخُنُ لَهُ الْمَاءُ، وَلَمَّا أَرَدْنَا عِلَاجَهُ، خِفْنَا أَنْ
يُدَسَّ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ سُمًّا إِلَى الْمُعَالِجِ، فَعَمِلْنَا الدَّوَاءَ
وَالْمَرْهَمَ فِي مَنْزِلِنَا.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: كُلُّ مَنْ ذَكَرَنِي فِي حِلِّ الْإِمْبِتِدَعَاءِ، وَقَدْ
جَعَلْتُ أَبَا إِسْحَاقَ - يَعْنِي: الْمُعْتَصِمَ - فِي حِلِّ، وَرَأَيْتُ اللَّهَ
يَقُولُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وَأَمَرَ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ بِالْعَفْوِ فِي قِصَّةِ مِسْطَحٍ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَمَا يَنْفَعُكَ أَنْ يُعَذِّبَ اللَّهُ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ
فِي سَبَبِكَ؟!

قَالَ حَنْبَلٌ: لَمَّا أَرَدْنَا عِلَاجَهُ، خِفْنَا أَنْ يُدَسَّ ابْنُ أَبِي دُوَادَ
إِلَى الْمُعَالِجِ، فَيَلْقِي فِي دَوَائِهِ سُمًّا، فَعَمِلْنَا الدَّوَاءَ وَالْمَرْهَمَ
عِنْدَنَا، فَكَانَ فِي بَرْنِيَّةٍ، فَإِذَا دَاوَاهُ رَفَعْنَاهَا.

قَالَ: وَكَانَ إِذَا أَصَابَهُ الْبَرْدُ، ضُرِبَ عَلَيْهِ.



مِحْنَةُ الْوَائِقِ

قَالَ حَنْبَلٌ: لَمْ يَزَلْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ بَرِيَ مِنَ الضَّرْبِ يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَيُحَدِّثُ وَيُفْتِي، حَتَّى مَاتَ الْمُعْتَصِمُ، وَوَلِيَ ابْنُهُ الْوَائِقُ، فَأَظْهَرَ مَا أَظْهَرَ مِنَ الْمِحْنَةِ وَالْمِيلِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ وَأَصْحَابِهِ.

فَلَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى أَهْلِ بَغْدَادَ، وَأَظْهَرَتِ الْقَضَاةُ الْمِحْنَةَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ، وَيُعِيدُ الصَّلَاةَ إِذَا رَجَعَ، وَيَقُولُ: تُؤْتَى الْجُمُعَةُ لِفَضْلِهَا، وَالصَّلَاةُ تُعَادُ خَلْفَ مَنْ قَالَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ.

وَجَاءَ نَفْرٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَقَالُوا: هَذَا الْأَمْرُ قَدْ فَشَا وَتَفَاقَمَ، وَنَحْنُ نَخَافُهُ عَلَى أَكْثَرِ مَنْ هَذَا، وَذَكَرُوا ابْنَ أَبِي دُوَادٍ، وَأَنَّهُ عَلَى أَنْ يَأْمُرَ الْمُعَلِّمِينَ بِتَعْلِيمِ الصَّبِيَّانِ فِي الْمَكَاتِبِ الْقُرْآنُ كَذَا وَكَذَا، فَنَحْنُ لَا نَرْضَى بِإِمَارَتِهِ. فَمَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَنَاطَرَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ.



قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ فِي أَيَّامِ الْوَائِقِ، إِذْ جَاءَ يَعْقُوبُ لَيْلاً بِرِسَالَةِ الْأَمِيرِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ: يَقُولُ لَكَ الْأَمِيرُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ ذَكَرَكَ، فَلَا يَجْتَمَعَنَّ إِلَيْكَ أَحَدٌ وَلَا تُسَاكِنِي بِأَرْضٍ وَلَا مَدِينَةَ أَنَا فِيهَا، فَاهْبُ حَيْثُ شِئْتَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ.

قَالَ: فَاخْتَفَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِقِيَّةِ حَيَاةِ الْوَائِقِ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ، وَقُتِلَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ الْخُرَاعِيُّ.

وَلَمْ يَزَلْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُخْتَفِياً فِي الْبَيْتِ لَا يَخْرُجُ إِلَى صَلَاةٍ وَلَا إِلَى غَيْرِهَا حَتَّى هَلَكَ الْوَائِقُ.

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَانِيٍّ، قَالَ: اخْتَفَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عِنْدِي ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: اطْلُبْ لِي مَوْضِعًا.

قُلْتُ: لَا أَمْنُ عَلَيْكَ.

قَالَ: افْعَلْ، فَإِذَا فَعَلْتَ، أَفَدْتُكَ.



فَطَلَبْتُ لَهُ مَوْضِعًا، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: اخْتَفَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَحَوَّلَ.

وَالْعَجَبُ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْحَافِظِ (١) كَيْفَ ذَكَرَ تَرْجَمَةَ أَحْمَدَ مُطَوَّلَةً كَعَوَائِدِهِ، وَلَكِنْ مَا أوردَ مِنْ أَمْرِ الْمَحْنَةِ كَلِمَةً مَعَ صِحَّةِ أَسَانِيدِهَا، فَإِنَّ حَنْبَلًا أَلْفَهَا فِي جُزْءَيْنِ. وَكَذَلِكَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ، وَجَمَاعَةٌ.



(١) يعني ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق.



فَصْلٌ فِي حَالِ الْإِمَامِ فِي دَوْلَةِ الْمُتَوَكَّلِ

قَالَ حَنْبَلٌ: وَلِيَّ الْمُتَوَكَّلِ، فَأَظْهَرَ اللهُ السُّنَّةَ، وَفَرَّجَ عَنِ النَّاسِ،
وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُنَا وَيُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكَّلِ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا كَانَ النَّاسُ إِلَى الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ أَحْوَجَ
مِنْهُمْ إِلَيْهِ فِي زَمَانِنَا.

ثُمَّ إِنَّ رَافِعًا رَفَعَ إِلَى الْمُتَوَكَّلِ: إِنَّ أَحْمَدَ رَبَّصَ عَلَوِيًّا
فِي مَنْزِلِهِ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَهُ وَيُبَايِعَ عَلَيْهِ.

قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا عِلْمٌ، فَبَيْنَا نَحْنُ ذَاتَ لَيْلَةٍ نِيَامٌ فِي
الصَّيْفِ، سَمِعْنَا الْجَلْبَةَ، وَرَأَيْنَا النَّيْرَانَ فِي دَارِ أَبِي عَبْدِ اللهِ،
فَأَسْرَعْنَا، وَإِذَا بِهِ قَاعِدٌ فِي إِزَارٍ، وَمُظَفَّرٌ بِنُ الْكَلْبِيِّ صَاحِبُ
الْخَبَرِ وَجَمَاعَةٌ مَعَهُمْ، فَقَرَأَ صَاحِبُ الْخَبَرِ كِتَابَ الْمُتَوَكَّلِ:
وَرَدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ عِنْدَكُمْ عَلَوِيًّا رَبَّصْتَهُ لِتُبَايِعَ لَهُ
وَتُظْهِرَهُ... فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ.



ثُمَّ قَالَ لَهُ مُظَفَّرٌ: مَا تَقُولُ؟

قَالَ: مَا أَعْرِفُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، وَإِنِّي لَأَرَى لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِي وَيُسْرِي، وَمَنْشَطِي وَمَكْرَهِي، وَأَثَرَةَ عَلَيَّ، وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ لَهُ بِالتَّسْديدِ وَالتَّوْفِيقِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ.

فَقَالَ مُظَفَّرٌ: قَدْ أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُحْلِفَكَ.

قَالَ: فَأَحْلَفُهُ بِالتَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنْ مَا عِنْدَهُ طَلِبَةٌ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ فَتَّشُوا مَنْزِلَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَالسَّرْبَ وَالعُرْفَ وَالسَطُوحَ، وَفَتَّشُوا تَابُوتَ الكُتُبِ، وَفَتَّشُوا النِّسَاءَ وَالمَنَازِلَ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، وَلَمْ يُحِسُّوا بِشَيْءٍ، وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ، فَوَقَعَ مِنْهُ مَوْعَاً حَسَنًا، وَعَلِمَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَكْدُوبٌ عَلَيْهِ.

وَكَانَ الَّذِي دَسَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البِدْعِ، وَلَمْ يَمُتْ حَتَّى بَيَّنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ لِلْمُسْلِمِينَ.



فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ، بَيْنَنَا نَحْنُ جُلُوسٌ بِيَابِ الدَّارِ، إِذَا يَعْقُوبُ - أَحَدُ حُجَّابِ الْمُتَوَكَّلِ - قَدْ جَاءَ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَدَخَلَ، وَدَخَلَ أَبِي وَأَنَا، وَمَعَ بَعْضُ غِلْمَانِهِ بَدْرَةٌ عَلَيَّ بَغْلٍ، وَمَعَهُ كِتَابُ الْمُتَوَكَّلِ، فَقَرَأَهُ عَلَيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّهُ صَحَّ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَرَاءَةَ سَاحَتِكَ، وَقَدْ وَجَّهَ إِلَيْكَ بِهَذَا الْمَالِ تَسْتَعِينُ بِهِ.

فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، وَقَالَ: مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ.

فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَقْبَلْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَمَرَكَ بِهِ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكَ عِنْدَهُ، فَإِنَّكَ إِنْ رَدَدْتَهُ، خِفتُ أَنْ يَظُنَّ بِكَ سُوءًا. فَحِينَئِذٍ قَبِلَهَا.

فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ.

قُلْتُ: لَبَّيْكَ.

قَالَ: ارْفَعْ هَذِهِ الْإِنْجَانَةَ وَضَعْ الْبَدْرَةَ تَحْتَهَا. فَفَعَلْتُ، وَخَرَجْنَا. فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ، إِذَا أُمُّمٌ وَلَدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَدُقُّ



عَلَيْنَا الْحَائِطُ، فَقَالَتْ: مَوْلَايَ يَدْعُو عَمَّهُ. فَأَعْلَمْتُ أَبِي،
وَخَرَجْنَا، فَدَخَلْنَا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَذَلِكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ،
فَقَالَ: يَا عَمُّ! مَا أَخَذَنِي النَّوْمُ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِهَذَا الْمَالِ.

وَجَعَلَ يَتَوَجَّعُ لِأَخِيهِ، وَأَبِي يُسَكِّنُهُ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْهِ،
وَقَالَ: حَتَّى تُصْبِحَ وَتَرَى فِيهِ رَأْيَكَ، فَإِنَّ هَذَا لَيْلٌ، وَالنَّاسُ
فِي الْمَنَازِلِ.

فَأَمْسَكَ وَخَرَجْنَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ السَّحْرِ، وَجَّهَ إِلَى عَبْدِ وَسِ
بْنِ مَالِكٍ، وَإِلَى الْحَسَنِ بْنِ الْبَزَّارِ، فَحَضَرَا، وَحَضَرَ جَمَاعَةٌ،
مِنْهُمْ: هَارُونُ الْحَمَّالُ، وَأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَابْنُ الدَّورَقِيِّ،
وَأَبِي، وَأَنَا، وَصَالِحٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَجَعَلْنَا نَكْتُبُ مَنْ يَذْكُرُونَهُ
مِنْ أَهْلِ السِّرِّ وَالصَّلَاحِ بِيَعْدَادِ وَالْكُوفَةِ، فَوَجَّهَ مِنْهَا إِلَى أَبِي
كُرَيْبٍ، وَلِلْأَشْجِ، وَإِلَى مَنْ يَعْلَمُونَ حَاجَتَهُ، فَفَرَّقَهَا كُلَّهَا مَا
بَيْنَ الْخَمْسِينَ إِلَى الْمِائَةِ، وَإِلَى الْمِائَتَيْنِ، فَمَا بَقِيَ فِي الْكَيْسِ
دِرْهَمٌ.



فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، جَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ الْمُتَوَكَّلِ، وَقَالَ لَهُ: يَا مُرَّكَ بِالْخُرُوجِ - يَعْنِي: إِلَى سَامِرَاءَ - فَقَالَ: أَنَا شَيْخٌ ضَعِيفٌ عَلِيلٌ.

فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ، فَوَرَدَ جَوَابُ الْكِتَابِ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ.

فَوَجَّهَ عَبْدُ اللَّهِ أَجْنَادًا، فَبَاتُوا عَلَى بَابِنَا أَيَّامًا، حَتَّى تَهَيَّأَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِلْخُرُوجِ، فَخَرَجَ.

قَالَ حَنْبَلٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: دَخَلْنَا إِلَى الْعَسْكَرِ، فَإِذَا نَحْنُ بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ مُقْبِلٍ، فَلَمَّا حَاذَى بِنَا، قَالُوا: هَذَا وَصِيفٌ. وَإِذَا بِفَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ، فَقَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: الْأَمِيرُ وَصِيفٌ يُقَرِّتُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَكَّنَكَ مِنْ عَدُوِّكَ - يَعْنِي: ابْنَ أَبِي دُوَادَ - وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْبَلُ مِنْكَ، فَلَا تَدَعُ شَيْئًا إِلَّا تَكَلَّمْتَ بِهِ.



فَمَا رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَيْئًا، وَجَعَلْتُ أَنَا أَدْعُو لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ، وَدَعَوْتُ لَوْصِيفٍ، وَمَضَيْنَا، فَأُنزِلْنَا فِي دَارِ إِيْتَاخٍ،
وَلَمْ يَعْرِفْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، فَسَأَلَ بَعْدُ: لِمَنْ هَذِهِ الدَّارُ؟
قَالُوا: هَذِهِ دَارُ إِيْتَاخٍ.

فَقَالَ: حَوْلُونِي، اكْتَرُوا لِي دَارًا.
قَالُوا: هَذِهِ دَارٌ أَنْزَلَكَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.
قَالَ: لَا أَيْتُ هَا هُنَا.

وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اكْتَرَيْنَا لَهُ دَارًا، وَكَانَتْ تَأْتِينَا فِي كُلِّ يَوْمٍ
مَائِدَةٌ فِيهَا أَلْوَانٌ يَأْمُرُ بِهَا الْمُتَوَكَّلُ وَالثَّلْجُ وَالْفَاكِهَةُ وَغَيْرُ
ذَلِكَ، فَمَا ذَاقَ مِنْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَظَرَ إِلَيْهَا، وَكَانَ
نَفَقَةُ الْمَائِدَةِ فِي الْيَوْمِ مِائَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا.

وَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكَّلُ بِمَالٍ عَظِيمٍ، فَرَدَّهُ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ
بْنُ يَحْيَى: فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَيَّ وَلَدِكَ
وَأَهْلِكَ. قَالَ: هُمْ مُسْتَعْنُونَ.



فَرَدَّهَا عَلَيْهِ، فَأَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا عَلَى وَلَدِهِ، ثُمَّ
أَجْرَى الْمُتَوَكَّلُ عَلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ،
فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّهُمْ فِي كِفَايَةٍ، وَلَيْسَتْ بِهِمْ حَاجَةٌ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكَّلُ: إِنَّمَا هَذَا لَوْلَدِكَ، فَمَا لَكَ وَلِهَذَا؟
فَأَمْسَكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، فَلَمْ يَزَلْ يُجْرِي عَلَيْنَا حَتَّى مَاتَ الْمُتَوَكَّلُ.

وَجَرَى بَيْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَبِي كَلَامٍ كَثِيرٌ، وَقَالَ: يَا
عَمَّ! مَا بَقِيَ مِنْ أَعْمَارِنَا؟ كَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ نَزَلْتَ، فَاللَّهُ اللَّهُ،
فَإِنَّ أَوْلَادَنَا إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا بَنَانًا، وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ،
وَإِنَّمَا هَذِهِ فِتْنَةٌ.

قَالَ أَبِي: فَقُلْتُ: أَرْجُو أَنْ يُؤْمِنَكَ اللَّهُ مِمَّا تَحْذَرُ. فَقَالَ:
كَيْفَ وَأَنْتُمْ لَا تَتْرَكُونَ طَعَامَهُمْ وَلَا جَوَائِزَهُمْ؟ لَوْ تَرَكْتُمُوهَا،
لَتَرَكُوكُمْ، مَاذَا نَنْتَظِرُ؟ إِنَّمَا هُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّمَا إِلَى جَنَّةٍ، وَإِنَّمَا
إِلَى نَارٍ، فَطُوبَى لِمَنْ قَدِمَ عَلَى خَيْرٍ.



وَبَلَغَ الْمُتَوَكَّلَ مَا هُوَ فِيهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا،
فَأَذِنَ لَهُ فِي الانْصِرَافِ، فَجَاءَ عُيَيْدُ اللهِ بْنِ يَحْيَى وَقَتَ
العَصْرِ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَذِنَ لَكَ، وَأَمَرَ أَنْ يَفْرَشَ
لَكَ حَرَّاقَةً تَنْحَدِرُ فِيهَا.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: اطْلُبُوا لِي زَوْرَقًا أَنْحَدِرِ السَّاعَةَ. فَطَلَبُوا
لَهُ زَوْرَقًا، فَانْحَدَرَ لِي وَقْتِهِ.

قَالَ حَنْبَلٌ: فَمَا عَلِمْنَا بِقُدُومِهِ حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ قَدْ وَافَى.
فَأَسْتَقْبَلْتُهُ بِنَاحِيَةِ القَطِيعَةِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنَ الزَّوْرِقِ، فَمَشَيْتُ
مَعَهُ، فَقَالَ لِي: تَقَدَّمَ لَا يَرَاكَ النَّاسُ فَيَعْرِفُونِي، فَتَقَدَّمْتُ.

قَالَ: فَلَمَّا وَصَلَ أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى قَفَاهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْعِيَاءِ.

وَكَانَ رُبَّمَا اسْتَعَارَ الشَّيْءَ مِنْ مَنْزِلِنَا وَمَنْزِلِ وَلَدِهِ، فَلَمَّا
صَارَ إِلَيْنَا مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ مَا صَارَ، أَمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى
لَقَدْ وُصِفَ لَهُ فِي عِلَّتِهِ قَرَعَةٌ تُشَوِي، فَشُوِيَ فِي تَنُورِ صَالِحٍ،
فَعَلِمَ، فَلَمْ يَسْتَعْمِلْهَا وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ.



وَقَدْ ذَكَرَ صَالِحُ قِصَّةَ خُرُوجِ أَبِيهِ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَرُجُوعِهِ،
وَتَفْتِيْشِ بِيُوْتِهِمْ عَلَى الْعَلَوِيِّ، وَوُرُودِ يَعْقُوبَ بِالْبَدْرَةِ، وَأَنَّهُ
بَكَى، وَقَالَ: سَلِمْتُ مِنْهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ عُمْرِي،
بُلِيْتُ بِهِمْ، عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ تُفَرِّقَهَا غَدًا. فَلَمَّا أَصْبَحَ، جَاءَهُ
حَسَنُ بْنُ الْبَزَّارِ، فَقَالَ: جِئْنِي يَا صَالِحُ بِمِيزَانٍ، وَجِّهُوا إِلَيَّ
أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَإِلَى فُلَانٍ.

حَتَّى فَرَّقَ الْجَمِيعَ، وَنَحْنُ فِي حَالَةِ اللَّهِ بِهَا عَلِيمٌ، فَأَعْطَيْتُهُ.
فَكَتَبَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ: إِنَّهُ تَصَدَّقَ بِالْكُلِّ لِيَوْمِهِ، حَتَّى

بِالْكَيْسِ!

فَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ، وَقَالَ: قَدْ أَمَرَ لَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِعَشْرَةِ آلَافٍ مَكَانَ الَّتِي فَرَّقَهَا، وَأَنْ لَا يَعْلَمَ شَيْخُكُمْ بِذَلِكَ
فَيَغْتَمَّ.

وَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ أَنْ تُشْتَرَى لَنَا دَارٌ، فَقَالَ: يَا صَالِحُ.

قُلْتُ: لَيْتَكَ.



قَالَ: لئن أقررت لهم بشراء دار، لتكونن القطيعة بيني وبينكم، إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لي مأوى. فلم يزل يدافع بشراء الدار حتى اندفع.

وَجَعَلْتُ رُسُلَ الْمُتَوَكِّلِ تَأْتِيهِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ خَبْرِهِ، وَيَرْجِعُونَ، فَيَقُولُونَ: هُوَ ضَعِيفٌ.

وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَرَاكَ.

وَجَاءَهُ يَعْقُوبُ، فَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُشْتَاقٌ إِلَيْكَ، وَيَقُولُ: انْظُرْ يَوْمًا تَصِيرُ فِيهِ حَتَّى أَعْرِفَهُ. فَقَالَ: ذَاكَ إِلَيْكُمْ. فَقَالَ: يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَخَرَجَ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، جَاءَ، فَقَالَ: الْبُشْرَى يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: قَدْ أَعْفَيْتِكَ مِنْ لُبْسِ السُّودِ وَالرُّكُوبِ إِلَى وِلَاةِ الْعُهُودِ وَإِلَى الدَّارِ، فَالْبَسْ مَا شِئْتَ. فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ.



ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ: إِنَّ لِي ابْنًا بِهِ مُعْجَبٌ، وَإِنَّ لَهُ فِي قَلْبِي مَوْعِظًا، فَأُحِبُّ أَنْ تُحَدِّثَهُ بِأَحَادِيثَ. فَسَكَتَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: أَتْرَاهُ لَا يَرَى مَا أَنَا فِيهِ؟!!

وَكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ، وَإِذَا خَتَمَ، دَعَا، وَنَحْنُ نُؤَمِّنُ، فَلَمَّا كَانَ غَدَاةَ الْجُمُعَةِ، وَجَّهَ إِلَيَّ وَإِلَى أَخِي. فَلَمَّا خَتَمَ، جَعَلَ يَدْعُو وَنَحْنُ نُؤَمِّنُ، فَلَمَّا فَرَغَ، جَعَلَ يَقُولُ: أَسْتَخِيرُ اللَّهَ مَرَّاتٍ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: مَا يُرِيدُ؟ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أُعْطِيَ اللَّهَ عَهْدًا، إِنَّ عَهْدَهُ كَانَ مَسْئُورًا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ﴿١﴾ إِنِّي لَا أُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ تَمَامَ أَبَدًا حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، وَلَا أَسْتَشِي مِنْكُمْ أَحَدًا.

فَخَرَجْنَا، وَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ، فَأَخْبَرَنَا، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَأَخْبَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِذَلِكَ. وَقَالَ: إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَحَدًا، وَيَكُونُ هَذَا الْبَلَدُ حَبْسِي،



وَإِنَّمَا كَانَ سَبَبَ الَّذِينَ أَقَامُوا بِهَذَا الْبَلَدِ لَمَّا أُعْطُوا فَاقْبَلُوا،
وَأْمُرُوا فَحَدِّثُوا، وَاللَّهِ لَقَدْ تَمَنَيْتُ الْمَوْتَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي
كَانَ، وَإِنِّي لَا تَمَنِّي الْمَوْتَ فِي هَذَا وَذَلِكَ، إِنَّ هَذَا فِتْنَةُ الدُّنْيَا،
وَذَلِكَ كَانَ فِتْنَةَ الدِّينِ.

ثُمَّ جَعَلَ يَضُمُّ أَصَابِعَهُ، وَيَقُولُ: لَوْ كَانَ نَفْسِي فِي يَدِي،
لَأَرْسَلْتُهَا. ثُمَّ يَفْتَحُ أَصَابِعَهُ.

وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ يُكْثِرُ السُّؤَالَ عَنْهُ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ يَأْمُرُ
لَنَا بِالْمَالِ، وَيَقُولُ: لَا يَعْلَمُ شَيْخُهُمْ فَيَعْتَمُّ، مَا يُرِيدُ مِنْهُمْ؟
إِنْ كَانَ هُوَ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا، فَلِمَ يَمْنَعُهُمْ؟!

وَقَالُوا لِلْمُتَوَكِّلِ: إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِكَ، وَلَا يَجْلِسُ
عَلَى فِرَاشِكَ، وَيُحَرِّمُ الَّذِي تَشْرَبُ. فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ: لَوْ نُشِرَ
لِي الْمُعْتَصِمُ، وَقَالَ فِيهِ شَيْئًا، لَمْ أَقْبَلْ مِنْهُ.

قَالَ صَالِحٌ: ثُمَّ انْحَدَرْتُ إِلَى بَغْدَادَ، وَخَلَفْتُ عَبْدَ اللَّهِ
عِنْدَهُ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ قَدْ قَدِمَ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ؟



قَالَ: أَمَرَنِي أَنْ أَنْحَدِرَ. وَقَالَ: قُلْ لِصَالِحٍ: لَا تَخْرُجْ، فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ أَفْتِي، وَاللَّهِ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا أَخْرَجْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ مَعِي، لَوْلَاكُمْ لِمَنْ كَانَتْ تُوَضَعُ هَذِهِ الْمَائِدَةُ، وَتُفْرَشُ الْفُرُشُ، وَتُجْرَى الْأَجْرَاءُ؟ فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ أَعْلَمُهُ بِمَا قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ، فَكُتِبَ إِلَيَّ بِخَطِّهِ:

أَحْسَنَ اللهُ عَاقِبَتَكَ، وَدَفَعَ عَنْكَ كُلَّ مَكْرُوهِ وَمَحْذُورٍ، الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى الْكِتَابِ إِلَيْكَ الَّذِي قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ، لَا يَأْتِينِي مِنْكُمْ أَحَدٌ رَجَاءً أَنْ يَنْقَطِعَ ذِكْرِي وَيَخْمَلَ، وَإِذَا كُنْتُمْ هَاهُنَا، فَشَا ذِكْرِي، وَكَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْكُمْ قَوْمٌ يَنْقُلُونَ أَخْبَارَنَا، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا خَيْرٌ، فَإِنْ أَقَمْتَ فَلَمْ يَأْتِنِي أَنْتَ وَلَا أَخُوكَ، فَهُوَ رِضَائِي، وَلَا تَجْعَلْ فِي نَفْسِكَ إِلَّا خَيْرًا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

قَالَ: وَلَمَّا سَافَرْنَا، رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ وَالْفُرُشُ، وَكُلُّ مَا أُقِيمَ لَنَا.

قَالَ صَالِحٌ: وَبَعَثَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى أَبِي بَالْفِ دِينَارٍ لِيُقْسِمَ بِهَا، فَجَاءَهُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ يَهَيِّئُ لَهُ



حَرَاقَةً، ثُمَّ جَاءَ عُبَيْدُ اللهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ أَذِنَ لَكَ، وَأَمَرَ لَكَ بِهَذَا. فَقَالَ: قَدْ أَعْفَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
مِمَّا أَكْرَهُ. فَردَّهَا.

فَقَدِمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ قَالَ: يَا صَالِحُ.

قُلْتُ: لَيْتَكَ.

قَالَ: أَحِبُّ أَنْ تَدَعَ هَذَا الرَّزْقَ، فَإِنَّمَا تَأْخُذُونَهُ بِسَبَبِي.
فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَا لَكَ؟

قُلْتُ: أَكْرَهُ أَنْ أُعْطِيكَ بِلِسَانِي، وَأُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ،
وَلَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَكْثَرُ عِيَالًا مِنِّي، وَلَا أَعْدَرُ، وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو
إِلَيْكَ، وَتَقُولُ: أَمْرُكَ مُنْعِقِدٌ بِأَمْرِي، وَلَعَلَّ اللهُ أَنْ يَحُلَّ عَنِّي
هَذِهِ الْعُقْدَةَ، وَقَدْ كُنْتُ تَدْعُو لِي، فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ
اسْتَجَابَ لَكَ.

فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ.

فَقُلْتُ: لَا!



قَالَ: فَهَجَرْنَا أَبِي، وَسَدَّ الْأَبْوَابَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَتَحَامَى
مَنَازِلَنَا.

ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةً فِي دُعَائِهِ صَالِحًا، وَمُعَاتَبَتِهِ لَهُ، ثُمَّ فِي كِتَابَتِهِ
إِلَى يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ لِيَتْرَكَ مَعُونَةَ أَوْلَادِهِ، وَأَنَّ الْخَبَرَ بَلَغَ
الْمُتَوَكَّلَ، فَأَمَرَ بِحَمْلِ مَا اجْتَمَعَ لَهُمْ مِنْ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ إِلَيْهِمْ،
فَكَانَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

وَأَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَ بِذَلِكَ، فَسَكَتَ قَلِيلًا، وَأَطْرَقَ،
ثُمَّ قَالَ: مَا حِيلَتِي إِنْ أَرَدْتُ أَمْرًا، وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا؟
وَإِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ الْمُتَنَهَى فِي مَعْرِفَةِ السُّنَّةِ عِلْمًا وَعَمَلًا،
وَفِي مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَفُنُونِهِ، وَمَعْرِفَةِ الْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ. وَكَانَ
رَأْسًا فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالْعِبَادَةِ وَالصَّدْقِ.

قَالَ الْمَرْوُذِيُّ، قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: مَا كَتَبْتُ حَدِيثًا إِلَّا
وَقَدْ عَمِلْتُ بِهِ، حَتَّى مَرَّ بِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ
وَأَعْطَى أَبَا طَيْبَةَ دِينَارًا، فَاحْتَجَمْتُ وَأَعْطَيْتُ الْحَجَّامَ دِينَارًا.



وقال: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: مَنْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ،
مَاتَ عَلَى خَيْرٍ؟ فَقَالَ: بَلْ مَاتَ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ.

وقال الميموني: قَالَ لِي أَحْمَدُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِيَّاكَ أَنْ
تَتَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ لَيْسَ لَكَ فِيهَا إِمَامٌ.

وقال الفضل بن زياد، سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: مَنْ
رَدَّ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ.

وقال محمد بن إسماعيل الترمذي: كُنْتُ أَنَا وَأَحْمَدُ
بُنَ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: يَا
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، ذَكَرُوا لِابْنِ أَبِي قَتِيلَةَ بِمَكَّةَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ،
فَقَالَ: أَصْحَابُ الْحَدِيثِ قَوْمٌ سَوْءٌ. فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَنْفُضُ
ثَوْبَهُ، وَيَقُولُ: زَنْدِيقٌ زَنْدِيقٌ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ.





وَمِنْ سِيرَتِهِ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِيُّ: مَا رَأَيْتُ عِمَامَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَطُّ إِلَّا تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَرَأَيْتُهُ يَكْرَهُ غَيْرَ ذَلِكَ.

وقال الميموني: مَا أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْظَفَ بَدَنًا، وَلَا أَشَدَّ تَعَاهِدًا لِنَفْسِهِ فِي شَارِبِهِ وَشَعْرِ رَأْسِهِ وَشَعْرِ بَدَنِهِ، وَلَا أَنْقَى ثَوْبًا بِشِدَّةِ بَيَاضٍ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال عاصم بن عاصم البيهقي: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَجَاءَ بِمَاءٍ فَوَضَعُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ نَظَرَ إِلَى الْمَاءِ بِحَالِهِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! رَجُلٌ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لَا يَكُونُ لَهُ وَرْدٌ بِاللَّيْلِ.

وقال عبد الله: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: رُبَّمَا أَرَدْتُ الْبُكُورَ فِي الْحَدِيثِ، فَتَأْخُذُ أُمِّي بِثَوْبِي، وَتَقُولُ: حَتَّى يُؤَدَّنَ الْمُؤَدَّنُ.

قال الكديمي: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: إِنِّي لِأَشْتَهِي أَنْ أَصْحَبَكَ إِلَى مَكَّةَ، وَمَا يَمْنَعُنِي



إِلَّا خَوْفُ أَنْ أَمْلِكَ أَوْ تَمَلِّنِي.

فَلَمَّا وَدَعْتُهُ، قُلْتُ: أَوْصِنِي.

قَالَ: اجْعَلِ التَّقْوَى زَادَكَ، وَانصِبِ الْآخِرَةَ أَمَامَكَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ

وَالْمُحَدِّثِينَ، وَبَنِي هَاشِمٍ وَقُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، يُقْبَلُونَ أَبِي،

بَعْضُهُمْ يَدُهُ، وَبَعْضُهُمْ رَأْسُهُ، وَيَعْظُمُونَهُ تَعْظِيمًا لَمْ أَرَهُمْ

يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ غَيْرِهِ، وَلَمْ أَرَهُ يَشْتَهِي ذَلِكَ.





وَمِنْ تَوَاضَعِهِ

قال أحمدُ بنُ الحَسَنِ التُّرْمِذِيِّ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَشْتَرِي
الْخُبْزَ مِنَ السُّوقِ، وَيَحْمِلُهُ فِي الزَّنْبِيلِ، وَرَأَيْتُهُ يَشْتَرِي
الْبَاقِلَاءَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَيَجْعَلُهُ فِي خِرْقَةٍ، فَيَحْمِلُهُ.





وَمِنْ جِهَادِهِ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
أَحْمَدَ يَقُولُ: خَرَجَ أَبِي إِلَى طَرْسُوسَ، وَرَابَطَ بِهَا، وَغَزَا.
وَقَالَ لِرَجُلٍ: عَلَيْكَ بِالشَّعْرِ، عَلَيْكَ بِقَرْوَيْنَ، وَكَانَتْ ثَغْرًا.





فَصْلٌ

قال الحسين بن إسماعيل: قال أبي: كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف يكتبون الحديث، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت.

وقال أبو بكر بن المطوعي: اختلفت إلى أبي عبد الله ثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ (المسند) على أولاده، فما كتبت عنه حديثاً واحداً، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه.

قال عبد الله بن محمد الوراق: كنت في مجلس أحمد بن حنبل، فقال: من أين أقبلتم؟

قلنا: من مجلس أبي كريب.

فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح.

فقلنا: إنه يطعن عليك.



فَقَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ حِيلَتِي؟ شَيْخٌ صَالِحٌ قَدْ بُلِيَ بِي.

قال أبو جعفر: كَانَ أَحْمَدُ مِنْ أَحْيَى النَّاسِ وَأَكْرَمِهِمْ،
وَأَحْسَنِهِمْ عَشْرَةَ وَأَدْبَاءً، كَثِيرَ الإِطْرَاقِ، لَا يُسْمَعُ مِنْهُ إِلاَّ
المُذَاكِرَةُ لِلْحَدِيثِ، وَذِكْرُ الصَّالِحِينَ فِي وَقَارٍ وَسُكُونٍ،
وَلَفْظٍ حَسَنٍ، وَإِذَا لَقِيَهِ إِنْسَانٌ، بَشَّ بِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَكَانَ
يَتَوَاضَعُ لِلشُّيُوخِ شَدِيداً، وَكَانُوا يُعَظِّمُونَهُ، وَكَانَ يَفْعَلُ
بِيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ مَا لَمْ أَرَهُ يَفْعَلُ بغيرِهِ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالتَّكْرِيمِ
وَالتَّبْجِيلِ، كَانَ يَحْيَى أَكْبَرَ مِنْهُ بِسَبْعِ سِنِينَ.

وقال عبد الله بن أحمد: كَانَ أَبِي إِذَا أَتَى البَيْتَ مِنَ
المَسْجِدِ، ضَرَبَ بِرِجْلِهِ حَتَّى يَسْمَعُوا صَوْتَ نَعْلِهِ، وَرُبَّمَا
تَنَحَّنَحَ لِيَعْلَمُوا بِهِ.

وقال عبدوس العطار: وَجَّهْتُ بِابْنِي مَعَ الجَارِيَةِ يُسَلِّمُ
عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَرَحَّبَ بِهِ، وَأَجْلَسَهُ فِي حَجْرِهِ، وَسَاءَ لَهُ،
وَأَتَّخَذَ لَهُ خَبِيصاً، وَقَالَ لِلجَارِيَةِ: كُلي مَعَهُ، وَجَعَلَ يُبْسِطُهُ.



وَقَالَ الْمَيْمُونِيُّ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَسَنَ الْخُلُقِ، دَائِمَ
الْبَشْرِ، يَحْتَمِلُ الْأَذَى مِنَ الْجَارِ.





مَعِيشَتُهُ

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: خَلَفَ لَهُ أَبُوهُ طَرْزاً وَدَاراً يَسْكُنُهَا،
فَكَانَ يَكْرِي تِلْكَ الطَّرْزَ، وَيَتَعَفَّفُ بِهَا.
قُلْتُ: وَرَبَّمَا نَسَخَ بِأُجْرَةٍ، وَرَبَّمَا عَمِلَ التَّكَاكَ، وَأَجَرَ
نَفْسَهُ لِحَمَّالٍ. رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ.





فَصْلٌ

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: مِنْ عَجِيبِ مَا سَمِعْتُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَحْدَاثِ الْجَهَّالِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، لَكِنَّهُ مُحَدِّثٌ.

قَالَ: وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ؛ لِأَنَّ لَهُ اخْتِيَارَاتٍ بَنَاهَا عَلَى الْأَحَادِيثِ بِنَاءً لَا يَعْرِفُهُ أَكْثَرُهُمْ، وَرَبَّمَا زَادَ عَلَى كِبَارِهِمْ.

قُلْتُ: أَحْسِبُهُمْ يَظُنُّونَهُ كَانَ مُحَدِّثًا وَبَسْ! بَلْ يَتَخَيَّلُونَهُ مِنْ بَابَةِ مُحَدِّثِي زَمَانِنَا، وَوَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ فِي الْفِقْهِ خَاصَّةً رُتْبَةَ اللَّيْثِ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَفِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ رُتْبَةَ الْفَضْلِ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ، وَفِي الْحِفْظِ رُتْبَةَ شُعْبَةَ، وَيَحْيَى الْقَطَّانِ، وَابْنَ الْمَدِينِيِّ، وَلَكِنَّ الْجَاهِلَ لَا يَعْلَمُ رُتْبَةَ نَفْسِهِ، فَكَيْفَ يَعْرِفُ رُتْبَةَ غَيْرِهِ.



فَصْلٌ

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: كَانَ الْإِمَامُ لَا يَرَى وَضَعَ الْكُتُبِ، وَيَنْهَى عَنْ كِتَابَةِ كَلَامِهِ وَمَسَائِلِهِ، وَلَوْ رَأَى ذَلِكَ، لَكَانَتْ لَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ، وَصَنَّفَ (الْمُسْنَدَ)؛ وَهُوَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ حَدِيثٍ، وَكَانَ يَقُولُ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ: احْتَفِظْ بِهَذَا (الْمُسْنَدِ)، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، وَ(التَّفْسِيرَ) وَهُوَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، وَ(النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ)، وَ(التَّارِيخَ)، وَ(حَدِيثَ شُعْبَةَ)، وَ(الْمُقَدَّمَ وَالْمُؤَخَّرَ فِي الْقُرْآنِ)، وَ(جَوَابَاتِ الْقُرْآنِ)، وَ(الْمَنَاسِكَ) الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ، وَأَشْيَاءَ أُخَرَ.

قُلْتُ: وَكِتَابَ (الْإِيمَانِ)، وَكِتَابَ (الْأَشْرِبَةِ)، وَرَأَيْتُ لَهُ وَرَقَةً مِنْ كِتَابِ (الْفَرَائِضِ).

وَتَفْسِيرُهُ الْمَذْكُورُ شَيْءٌ لَا وَجُودَ لَهُ، وَلَوْ وَجِدَ، لَاجْتَهَادَ الْفُضَلَاءِ فِي تَحْصِيلِهِ، وَلَا شَيْهَرٍ، ثُمَّ لَوْ أَلْفَ تَفْسِيرًا، لَمَا



كَانَ يَكُونُ أَزِيدَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ أَثَرٍ، وَلَا قُتِضِيَ أَنْ يَكُونَ فِي
خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ.

فَهَذَا (تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ) الَّذِي جَمَعَ فِيهِ فَأَوْعَى، لَا يَبْلُغُ
عِشْرِينَ أَلْفًا.

وَمَا ذَكَرَ (تَفْسِيرَ أَحْمَدَ) أَحَدٌ سِوَى أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ
الْمُنَادِيِّ، فَقَالَ فِي (تَارِيخِهِ): لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَرَوَى فِي الدُّنْيَا
عَنْ أَبِيهِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ (الْمُسْنَدَ) وَهُوَ
ثَلَاثُونَ أَلْفًا، وَ (التَّفْسِيرَ) وَهُوَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَلَهُ - يَعْنِي: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ - مِنْ
الْمُصَنَّفَاتِ: كِتَابُ (نَفْيِ التَّشْبِيهِ) مُجَلَّدَةٌ، وَكِتَابُ (الإِمَامَةِ)
مُجَلَّدَةٌ صَغِيرَةٌ، وَكِتَابُ (الرَّدُّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ) ثَلَاثَةٌ أَجْزَاءٍ،
وَكِتَابُ (الزُّهْدِ) مُجَلَّدٌ كَبِيرٌ، وَكِتَابُ (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ)
مُجَلَّدَةٌ، وَكِتَابُ (الرِّسَالَةِ فِي الصَّلَاةِ) - قُلْتُ: هُوَ مَوْضُوعٌ
عَلَى الإِمَامِ.



وَقَدْ دَوَّنَ عَنْهُ كِبَارُ تَلَامِذَتِهِ مَسَائِلَ وَافِرَةً فِي عِدَّةِ مُجَلَّدَاتٍ،
كَالْمَرْوُذِيِّ، وَالْأَثْرَمِ، وَحَرْبِ، وَابْنِ هَانِيٍّ، وَالْكَوَسَجِ، وَأَبِي
طَالِبِ، وَفُورَانَ، وَمُهَنَّأَ الشَّامِيِّ، وَصَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ، وَأَخِيهِ،
وَابْنَ عَمَّهَمَا؛ حَنْبَلٍ (١).

وَجَمَعَ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ سَائِرَ مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَقْوَالِ
أَحْمَدَ، وَقَتَاوِيهِ، وَكَلَامِهِ فِي الْعِلَلِ وَالرِّجَالِ وَالسُّنَّةِ وَالْفُرُوعِ،
حَتَّى حَصَلَ عِنْدَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُوصَفُ كَثْرَةً.

وَرَحَلَ إِلَى النَّوَاحِي فِي تَحْصِيلِهِ، وَكَتَبَ عَنْ نَحْوِ مِنْ
مِائَةِ نَفْسٍ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ.

ثُمَّ كَتَبَ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ عَنْ أَصْحَابِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ أَخَذَ
فِي تَرْتِيبِ ذَلِكَ وَتَهْدِيئِهِ، وَتَبْوِيئِهِ.

وَعَمِلَ كِتَابَ (الْعِلْمِ)، وَكِتَابَ (الْعِلَلِ)، وَكِتَابَ

(١) ذكر المؤلف (الذهبي) خمسين ممن دَوَّنَ مسائلَ أحمدَ، رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِمُ.



(السُّنَّةِ)، كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ فِي ثَلَاثِ مُجَلَّدَاتٍ. وَأَلَّفَ
كِتَابَ (الْجَامِعِ) فِي بَضْعَةِ عَشْرٍ مُجَلَّدَةً، أَوْ أَكْثَرَ.

وَقَدْ قَالَ: فِي كِتَابِ (أَخْلَاقِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ) لَمْ يَكُنْ
أَحَدٌ فِيمَا عَلِمْتُ عُنِيَ بِمَسَائِلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَطُّ، مَا عُنِيَْتُ بِهَا
أَنَا.

وَمَوْلِدُ الْخَلَالِ كَانَ فِي حَيَاةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، يُمَكِّنُ أَنْ
يَكُونَ رَأَاهُ وَهُوَ صَبِيٌّ.





زُوجَاتُ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَآلِهِ

قَالَ زُهَيْرُ بْنُ صَالِحٍ: تَزَوَّجَ جَدِّي بِأُمِّ أَبِي عَبَّاسَةَ، فَلَمَّ يُوَلِّدْ لَهُ مِنْهَا سِوَى أَبِي، ثُمَّ تُوفِّيتُ، ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَهَا رَيْحَانَةَ -امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ- فَمَا وَلَدَتْ لَهُ سِوَى عَمِّي عَبْدِ اللهِ.

قَالَ الْمَرْوُذِيُّ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ ذَكَرَ أَهْلَهُ، فَتَرَحَّمْ عَلَيْهَا، وَقَالَ: مَكُنَّا عِشْرِينَ سَنَةً، مَا اخْتَلَفْنَا فِي كَلِمَةٍ.

وَقَالَ زُهَيْرٌ: لَمَّا تُوفِّيتُ أُمَّ عَبْدِ اللهِ، اشْتَرَى جَدِّي حُسْنَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُمَّ عَلِيٍّ زَيْنَبَ، وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ تَوَامًا، وَمَاتَا بِالْقُرْبِ مِنْ وِلَادَتِهِمَا، ثُمَّ وَلَدَتْ الْحَسَنَ وَمُحَمَّدًا، فَعَاشَا نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ، وَوَلَدَتْ بَعْدَهُمَا سَعِيدًا.

وَكَانَ أَسْنُ بَنِي أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ صَالِحٌ، فَوَلِيَ قِضَاءَ أَصْبَهَانَ، وَمَاتَ بِهَا سَنَةً خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، عَنْ نَيْفٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.



وَأَمَّا الْوَلَدُ الثَّانِي، فَهُوَ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ أَحْمَدَ، رَاوِيَةٌ أَبِيهِ، مِنْ كِبَارِ الْأَئِمَّةِ، مَاتَ سَنَةَ تِسْعِينَ
وَمِائَتَيْنِ، عَنْ سَبْعِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَلَهُ تَرْجَمَةٌ أُفْرِدْتُهَا.

وَالْوَلَدُ الثَّلَاثُ سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ، فَهَذَا وُلِدَ لِأَحْمَدَ قَبْلَ
مَوْتِهِ بِخَمْسِينَ يَوْمًا، فَكَبِرَ وَتَفَقَّهَ، وَمَاتَ قَبْلَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ.

وَأَمَّا حَسَنٌ وَمُحَمَّدٌ وَزَيْنَبُ، فَلَمْ يَبْلُغْنَا شَيْئًا مِنْ
أَحْوَالِهِمْ، وَانْقَطَعَ عَقْبُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِيمَا نَعْلَمُ.





مَرَضُهُ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: اسْتَكْمَلْتُ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَدَخَلْتُ فِي ثَمَانِ.

وَقَالَ صَالِحٌ: لَمَّا كَانَ أَوَّلُ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، حُمَّ أَبِي لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَاتَ وَهُوَ مَحْمُومٌ، يَتَنَفَّسُ تَنَفُّسًا شَدِيدًا.

وَكَثَرَ النَّاسُ، فَقَالَ: فَمَا تَرَى؟

قُلْتُ: تَأْذِنُ لَهُمْ، فَيَدْعُونَ لَكَ. قَالَ: أَسْتَخِيرُ اللَّهَ.

فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ أَفْوَاجًا، حَتَّى تَمْتَلَى الدَّارُ، فَيَسْأَلُونَهُ، وَيَدْعُونَ لَهُ، وَيَخْرُجُونَ، وَيَدْخُلُ فَوْجٌ، وَكَثُرَ النَّاسُ، وَامْتَلَأَ الشَّارِعُ، وَأَغْلَقْنَا بَابَ الزُّقَاقِ، وَجَاءَ جَارٌ لَنَا قَدْ خَضَبَ، فَقَالَ أَبِي: إِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ يُحْيِي شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ، فَأَفْرَحُ بِهِ.



فَقَالَ لِي: وَجَّهَ فَاشْتَرِ تَمْرًا، وَكَفَّرْ عَنِّي كَفَّارَةَ يَمِينٍ.

وَكُنْتُ أَنَامُ إِلَى جَنْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ حَاجَةً، حَرَّكَنِي فَأَنَاوِلُهُ،
وَجَعَلَ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ، وَلَمْ يَزَلْ يُصَلِّي قَائِمًا، أُمْسِكُهُ فَيَرْكَعُ
وَيَسْجُدُ، وَأَرْفَعُهُ فِي رُكُوعِهِ.

قَالَ: وَاجْتَمَعْتُ عَلَيْهِ أَوْجَاعُ الْحَضَرِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَلَمْ
يَزَلْ عَقْلُهُ ثَابِتًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، لَأَثْتِي عَشْرَةَ خَلْتُ
مِنْ رَيْبِ الأَوَّلِ، لِسَاعَتَيْنِ مِنَ النَّهَارِ، تُؤَفِّي.

وَقَالَ المَرُودِيُّ: مَرَضَ أَحْمَدُ تِسْعَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ رُبَّمَا أَدِنَ
لِلنَّاسِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِ أَفْوَاجًا، يُسَلِّمُونَ وَيَرُدُّ بِيَدِهِ، وَتَسَامَعَ
النَّاسُ وَكثُرُوا.

وَسَمِعَ السُّلْطَانُ بِكثْرَةِ النَّاسِ، فَوَكَّلَ السُّلْطَانُ بِبَابِهِ
وَبِبَابِ الزُّقَاقِ الرَّابِطَةَ وَأَصْحَابَ الأَخْبَارِ، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَ
الزُّقَاقِ، فَكَانَ النَّاسُ فِي الشُّوَارِعِ وَالمَسَاجِدِ، حَتَّى تَعَطَّلَ
بَعْضُ البَاعَةِ.



وَجَاءَهُ حَاجِبُ ابْنِ طَاهِرٍ، فَقَالَ: إِنَّ الْأَمِيرَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ،
وَهُوَ يَشْتَهِي أَنْ يَرَكَ.

فَقَالَ: هَذَا مِمَّا أَكْرَهُ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَعْفَانِي مِمَّا أَكْرَهُ.

وَجَاءَ بَنُو هَاشِمٍ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، وَجَعَلُوا يَبْكُونَ عَلَيْهِ.

وَجَاءَ قَوْمٌ مِنَ الْقُضَاةِ وَغَيْرِهِمْ، فَلَمْ يُؤْذَنَ لَهُمْ.

وَدَخَلَ عَلَيْهِ شَيْخٌ، فَقَالَ: اذْكُرْ وَقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ.

فَشَهَقَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَسَالَتْ دُمُوعُهُ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ

بِیَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، قَالَ: ادْعُوا لِي الصَّبِيَانَ بِلِسَانٍ ثَقِيلٍ.

قَالَ: فَجَعَلُوا يَنْضَمُّونَ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ يَشْمُهُمْ وَيَمْسَحُ

رُؤُوسَهُمْ، وَعَيْنُهُ تَدْمَعُ.

وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَوَضَّاعُهُ، فَقَالَ: خَلِّ

الْأَصَابِعَ.

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، ثَقُلَ، وَقَبِضَ صَدْرَ النَّهَارِ،

فَصَاحَ النَّاسُ، وَعَلَّتِ الْأَصْوَاتُ بِالْبَكَاءِ، حَتَّى كَأَنَّ الدُّنْيَا قَدِ



ارْتَبَحَتْ، وَامْتَلَأَتِ السُّكَّكَ وَالشَّوَارِعُ.

قال المروزي: فَأَخْرَجَتِ الْجَنَازَةَ بَعْدَ مُنْصَرَفِ النَّاسِ
مِنَ الْجُمُعَةِ.

قال صالح بن أحمد: وَجَّهَ ابْنُ طَاهِرٍ -يَعْنِي: نَائِبَ
بَغْدَادَ- بِحَاجِبِهِ مُظْفَرٍ، وَمَعَهُ غُلَامَانِ مَعَهُمَا مَنَادِيلٌ فِيهَا
ثِيَابٌ وَطِيبٌ، فَقَالُوا: الْأَمِيرُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: قَدْ
فَعَلْتُ مَا لَوْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَاضِرَهُ كَانَ يُفْعَلُهُ.

فقلت: أَقْرِي الْأَمِيرَ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ
أَعْفَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ مِمَّا يَكْرَهُ، وَلَا أَحِبُّ أَنْ أُتْبِعَهُ بَعْدَ
مَوْتِهِ بِمَا كَانَ يَكْرَهُهُ.

فعاد، وقال: يَكُونُ شِعَارَهُ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ مِثْلَ قَوْلِي.

وَقَدْ كَانَ غَزَلَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ ثَوْبًا عَشَارِيًّا قَوْمَ بَشْمَانِيَّةِ
وَعَشْرَيْنَ دَرَهْمًا، لِيَقْطَعَ مِنْهُ قَمِيصَيْنِ، فَقَطَعْنَا لَهُ لُفَاتَيْنِ،
وَأَخَذْنَا مِنْ فُورَانَ لُفَاةً أُخْرَى، فَأَدْرَجْنَاهُ فِي ثَلَاثِ لُفَائِفَ.



وَأَشْتَرَيْنَا لَهُ حَنُوطًا، وَفَرِغَ مِنْ غَسَلِهِ، وَكَفَّنَاهُ، وَحَضَرَ
نَحْوُ مِائَةٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَنَحْنُ نَكْفِنُهُ، وَجَعَلُوا يُقْبَلُونَ
جَبْهَتَهُ حَتَّى رَفَعْنَاهُ عَلَى السَّرِيرِ.

قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ: مَا بَلَّغْنَا أَنْ جَمَعًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَلَا الْإِسْلَامِ مِثْلُهُ - يَعْنِي: مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ - حَتَّى بَلَّغْنَا أَنْ
الْمَوْضِعَ مُسَحَّ وَحُزِرَ عَلَى الصَّحِيحِ، فَإِذَا هُوَ نَحْوُ مِنْ أَلْفِ
أَلْفٍ (١).

قَالَ مُوسَى بْنُ هَارُونَ الْحَافِظُ: يُقَالُ: إِنَّ أَحْمَدَ لَمَّا مَاتَ،
مُسِحَتْ الْأَمْكِنَةُ الْمَبْسُوطَةُ الَّتِي وَقَفَ النَّاسُ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهَا،
فَحُزِرَ مَقَادِيرُ النَّاسِ بِالْمَسَاحَةِ عَلَى التَّقْدِيرِ سِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ
أَوْ أَكْثَرَ، سِوَى مَا كَانَ فِي الْأَطْرَافِ وَالْحَوَالِي وَالسُّطُوحِ
وَالْمَوَاضِعِ الْمُتَفَرِّقَةِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ.

(١) يعني مليون رجل، وهذا عدد الذين شهدوا جنازة الإمام أحمد.



وَفَتَحَ النَّاسُ أَبْوَابَ الْمَنَازِلِ فِي الشُّوَارِعِ وَالدَّرُوبِ،
يُنَادُونَ مَنْ أَرَادَ الْوُضُوءَ.

قَالَ الْخَلَّالُ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي صَالِحِ الْقَنْطَرِيِّ يَقُولُ:
شَهِدْتُ الْمَوْسِمَ (الْحَجَّ) أَرْبَعِينَ عَامًا، فَمَا رَأَيْتُ جَمْعًا
قَطُّ مِثْلَ هَذَا. يَعْنِي: مَشْهَدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللهُ.





الفهرس

- مقدمة ٣
- الإمام أبو حنيفة ٤
- الإمام مالك ١٢
- الإمام الشافعي ٣٤
- الإمام أحمد بن حنبل ٦٢



التصميم الداخلي للكتاب

Tharwat Sultan@yahoo.com

Tharwat Sultan

للتواصل:   00201019530152